

الدكتور

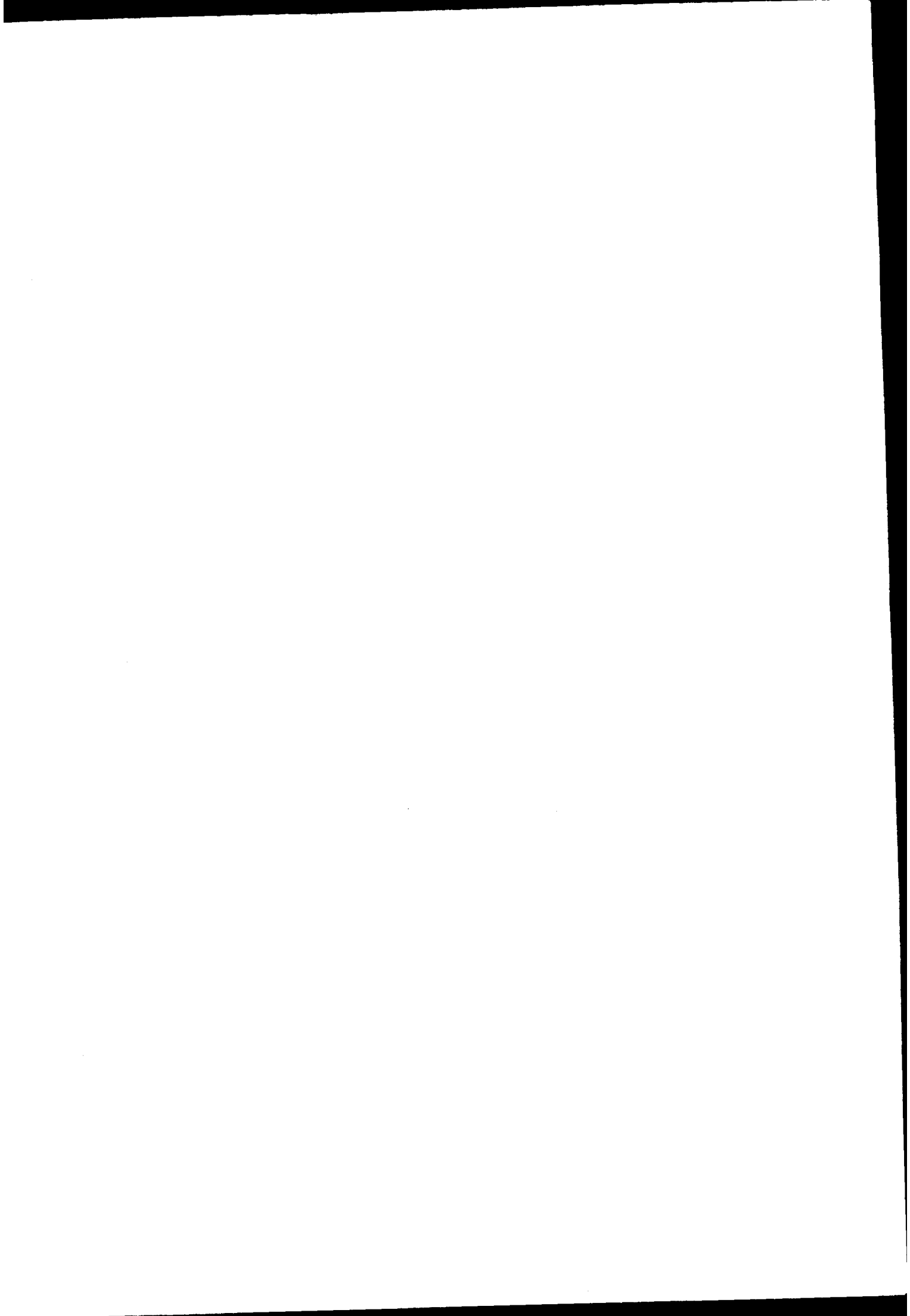
سليمان الخطيب

التأويل عند فرق الغلاة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع ١١٠٠٢/١٩٩٨

الترقيم الدولي 977-19-6724-X



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نحاول فى هذا البحث إلقاء الضوء على مسألة محددة تتعلق بتاريخ الفرق التى ظهرت فى تراثنا الكلامى والفلسفى، وهذه المسألة تخص فرق الغلاة التى شغلت مساحة - وماتزال - لا يستهان بها فى التراث العقلى للمجتمع الإسلامى ونحاول تناول منهج التأويل الباطنى الذى استخدمته بعض الفرق من أجل بلورة خطابها المذهبى فى خضم الصراعات التى شهدتها تاريخنا الفكرى والسياسى. نعرض فى البداية مفهوم التأويل فى المعاجم اللغوية وعند مختلف الاتجاهات الفكرية والمذهبية، ثم فى الكتاب والسنة، وفرقنا بين التأويل والتفسير، ثم عرضنا لمفهوم التأويل عند فرق الباطنية، حيث استخدمته فرق الغلاة على نطاق واسع من أجل الترويج لمذاهبهم وتوجهاتهم. ثم عرضنا للأسباب التاريخية التى دفعت هذه الاتجاهات لاستخدام هذا المنهج الباطنى فى التأويل، ليتسنى لنا الوقوف على الخلفية الفكرية والسياسية وراء منطلقات الغلو عند هذه الفرق.

وفى إطار منهج تحليل النصوص، اعتمدنا على المصادر المباشرة لفرق الغلاة، وعضدنا تحليلنا لهذه النصوص بالعديد من الآراء فى القديم والحديث، التى واجهت هذه الفرق، وانتهينا بمحاولة نقدية لهذا المنهج فى التأويل الذى أثار العديد من القضايا المثيرة للجدل فيما يتعلق بدلالات الخطاب الشرعى ومبادئ العقيدة الإسلامية.

وضمن محاولة متواضعة اعتمدنا فى منهجنا لقراءة وتحليل الخطاب لهذه التوجيهات على المصادر الرئيسية للفكر الباطن التى تشكل حقيقة وجوهر التوجهات الباطنية فى مجال التأويل.

وقد اجتهدنا قدر الطاقة فى استخدام المنهج العقلى فى نقد نصوص الغلاة، لأنه يمثل القاسم المشترك بين كافة التوجهات الفكرية فى تراثنا وجهودنا الفكرية قديماً وحديثاً، وإذا كان هذا المنهج محل نظر واختلاف بين الدارسين فمتسببنا المحاولة والجهد المتواضع.

سليمان الخطيب

الفصل الأول

مفهوم التأويل وتاريخه

فى تهذيب اللغة ^(١) للأزهري ، ينقل لنا عن ثعلب ابن الاعرابى ان (الأول) هو الرجوع، وقد آل يؤول أولاً.
وفى (مقاييس اللغة) لابن فارس ^(٢) : (أول الحكم إلى أهله أى أرجعه ورده إليهم).

ويتضح لنا مما نقله ابن فارس: ان كلمة تأويل استعملت عنده فى نفس المعنى والمفهوم الذى كانت تستعمل فيه مادة (أول) عند الأزهري، وذلك لأن التأويل يرجع فى أصله الاشتقاقى إلى الأول.

وفى (لسان العرب) ^(٣) يقول ابن منظور (ألت عن الشيء ارتدت عنه، وأول الكلام تأويله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسرّه، وقوله عز وجل: (ولما يأتهم تأويله) يونس/ ١٠ أى لم يكن معهم علم تأويله، وقيل معناه: لما يأتهم مايؤول إليه أمرهم فى التكذيب به من العقوبة.

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) ^(٤) .

وفى حديث عائشة رضى الله عنه (كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده، سبحانك اللهم وبحمدك يتأول القرآن) ^(٥) تعنى أنه مأخوذ من قوله تعالى: (فسبح بحمد ربك واستغفره) النصر/ ٣ ^(٦) .

- ١ - انظر فى ذلك تهذيب اللغة للأزهري مادة أول جـ ٤٣٧/١٥ تحقيق الأستاذ إبراهيم الإبيارى ط الدار امصرية للتأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٦.
- ٢ - انظر مقاييس اللغة ج ١/ ١٥٩ مادة أول تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - القاهرة ط ١٣٦٦ هـ.
- ٣ - لسان العرب: مادة أول: طبع المطبعة الأميرية: ١٣٠٢ هـ. ج ٣٣/ ١٣.
- ٤ - رواه مسلم: ٢٥٥/ ١٦.
- ٥ - رواه البخارى: ٣٨١/ ٢.
- ٦ - لسان العرب: ٢٣/ ١١ مادة أول.

وجاء التأويل بمعنى التفسير: التفسير قد يقال: فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها، وفيما يختص بـ (التأويل) ولهذا يقال: (عبارة الرؤيا) وتفسيرها وتأويلها) (١).

يتضح لنا: أن التأويل كان يستعمل عند علماء اللغة في هذين المعنيين:
الأول: المرجع والمصير والعاقبة.
الثاني: التفسير والتدبر والبيان.

ثم نجد ابن منظور في القرن السابع الهجري ينقل لنا عن ابن الاثير (٢) في معنى التأويل: (أنه نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ).

وحول هذا المعنى (التأويل) صرف الآية عن معناها إلى معنى تحتمله، إذا كان المعنى المحتمل الذي تصرف إليه الآية موافقاً للكتاب والسنة (٣)، وبذلك يصبح للتأويل ثلاثة معاني، المعنيان السابق ذكرهما والثالث هو نقل ظاهر اللفظ إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل (٤).

ثانياً: الاستعمال القرآني لكلمة تأويل:

استعمل المفسرون التأويل في معنى التفسير والبيان، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم في نفس المعنى حين دعا لابن عباس (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (٥) فالتأويل هنا يراد به التفسير والبيان وكشف المعنى وتوضيح المراد.

وقد وردت كلمة (تأويل) في القرآن حسب ترتيب السور في المصحف كما يلي:

- ١ - تاج العروس للزبيدي: ٢١٤/٧ مادة أول.
- ٢ - النهاية في غريب الحديث لزيد. الأثير ٨٠/١ - ط الحلبي - ١٩٦٣م.
- ٣ - تاج العروس: ٢١٤/٧: مصدر سابق.
- ٤ - الإمام ابن تيمية ومقفه من قضية التأويل: د. محمد السيد الجليند: ٣٣: القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية: ١٩٧٠م.
- ٥ - سبق تخرج الحديث.

١- قال تعالى: (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات، فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) آل عمران/٧.

وقد كثرت الاراء حول كلمة تأويل فى هذه الآية الكريمة وفى ذلك يقول الطبرى: القول فى تأويله قوله تعالى: وابتغاء تأويله) اختلف اهل التأويل فى التأويل الذى عنى الله جل ثنائه .. فقال بعضهم معنى ذلك: الأجل الذى ارادت اليهود ان تعرفه من انقضاء مده امر محمد وامر امته من قبل الحروف المقطعة من حساب الجمل^(١) (الم)، (المص) .. وما اشبه ذلك من الآجال.. حدثنى موسى قال: حدثنا عمر قال: حدثنا اسباط عن السدى (وابتغاء تأويله) ما تشابه من آى القرآن، يتأولونه - إذا كان ذا وجوه وتصاريح فى التأويلات - على ما فى قلوبهم من الزيغ، وماركبوه من الضلالة^(٢).

كما يقول الطبرى فى تأويل قوله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به) .. يعنى جل ثناؤه بذلك: وما يعلم وقت قيام الساعة وانقضاء مدة اجل محمد وامته، إلا الله دون من سواه من البشر الذين املوا إدراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة، وأما الراسخون فى العلم فيقولون: (آمنا به كل من عند ربنا) لا يعلمون ذلك ولكن فضل علمهم فى ذلك على غيرهم، العلم بأن الله هو العالم بذلك دون من سواه من خلقه، واختلف اهل التأويل فى تأويل ذلك وهل (الراسخون) معطوف على لفظ الجلالة بمعنى ايجاب العلم لهم بتأويل المتشابه، او أنهم مستأنف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم فكانهم يقولون: آمنا بالمتشابه وصدقنا أن علم ذلك لا يعلمه إلا الله، فقال بعضهم معنى ذلك:

١- هو الحساب المبني على حروف أبجد: انظر معانى القرآن للفراء: ص ١٩٠.

٢- تفسير الطبرى" جامع البيان عن تأويل آى القرآن": تحقيق أحمد محمود شاكر:

١٩٩/٦-٢٠٠ ط دار المعارف. القاهرة.

وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفرداً بعلمه، وأما الراسخون في العلم فإنهم ابتدء الخبر عنهم بأنهم يقولون آمنا بالمتشابه والمحكم، وإن جميع ذلك من عند الله^(١).

ويقول القرطبي في ذلك: (معنى ابتغاء الفتنة - طلب الشبهات واللبس على المؤمنين حتى يفسدوا ذات بينهم، ويردوا الناس إلى زيغهم، وقال الزجاج معنى ابتغاء تأويله - أنهم طلبوا تأويل بعثهم وأحيائهم، فاعلم أن تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلا الله)^(٢) (لاحظ أن القرطبي يشترك مع الطبري في اعتبار كلمة التأويل تفيد العقوبة).

ويؤكد ذلك في تفسير قوله تعالى: (وما يعلم تأويله إلا الله): يقال إن جماعة من اليهود منهم حير بن اخطب دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: بلغنا أنه انزل عليك (ألم) فإن كنت صادقاً في مقالتك.

فإن ملك امتك يكون إحدى وسبعين سنة، لأن الألف في حساب الجمل واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فنزل (وما يعلم تأويله إلا الله).

والواضح أن المعنى يقصد به عقوبة الأمور التي لا يدركها البشر إلا أن القرطبي يستطرد في بيان معنى التأويل وأنه يكون بمعنى ما يؤزل الأمر إليه، إلى أن يسوق إلينا معنى اصطلاحياً عند قوله (وقد حده بعض الفقهاء فقالوا: هو ابداء احتمال في اللفظ مقصود بدليل خارج عنه) وإن كان معنى كلمة (تأويل) في الآية الكريمة لا يقصد به هذا المعنى الاصطلاحي، وإلى هذا يشير تفسير المنار قائلاً: إنما غلط المفسرون في تفسير التأويل في الآية (وما يعلم تأويله إلا الله)^(٣) لأنهم جعلوه بالمعنى الاصطلاحي، وإن تفسير كلمات القرآن بالمواصفات الاصطلاحية قد

١ - تفسير الطبري: ٢٠١/٦: مرجع سابق.

٢ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ١٢٥٧/٢ ط دار الشعب. القاهرة: ١٩٧٠.

٣ - الجامع لأحكام القرآن: مرجع سابق: ١٢٥٧/٢.

كان منشأ غلط يصعب حصره^(١).

ونخلص إلى أن معنى كلمة (تأويل) فى هذين الموضعين من الآية لاتخرج عن معنى العاقبة والمصير، وهو من المعانى اللغوية للكلمة.

٢- وفى قوله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلاً) النساء/٥٩.

٣- وفى قوله تعالى: (ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون، هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) الأعراف/٥٢-٥٣.

٤- وفى قوله تعالى: (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين، ويقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يونس/٣٩-٣٠.

٥- وفى قوله تعالى: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث). (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث). (ودخل معه السجن فتيان قال احدهما إنى ارانى اعصر خمراً وقال الآخر إنى احمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين، قال لا يأتىكما طعام ترزقانه إلا نبأكما بتأويله قبل أن يأتىكما ذلكما مما علمنى ربى). (قالوا اضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين، وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا انبئكم بتأويله فارسلون). (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً يا

١- السيد محمد رشيد رضا: تفسير المنار: للأستاذ الإمام عبده ١٤٣، ٣ ط: الهيئة المصرية للكتاب: القاهرة: ١٩٧٢.

أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقاً). (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث) يوسف/الآيات ٦، ٢١، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١٠٠، ١٠١.

٦- وفى قوله تعالى: (واوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلاً) الاسراء/٣٥.

٧- ومن قوله تعالى: (قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) الكهف/٨٢.

وبعد ذكرنا لتفسير الآية السابقة من آل عمران، فقد وردت الكلمة كذلك فى ستة مواضع أخرى - كما بينا وذكرنا - وقد ذكرها صاحب تفسير المنار^(١) وجمع ما اثير حولها من اراء نوجزها فى المعانى الآتية:

أولها: آية سورة النساء، (واحسن تأويلاً) فسر التأويل هنا (مجاهد وقتادة) بالثواب والجزاء و(السدى) وابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج) بالعاقبة، وكلاهما بمعنى المآل. وليس ثمة احتمال ان يكون معنى التأويل هنا التفسير أو صرف الكلام عن ظاهره فبالرجوع إلى آية كاملة ندرك أن الكلام حول مايتنازع فيه الناس عاقبة رده إلى الله ورسوله.

الثانية: آية سورة الأعراف - (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله) فسر ابن عباس (تأويله) هنا بتصديق وعده ووعيده أى يوم يظهر صدق ما اخبر به من امر الآخرة، وقال قتادة (تأويله) ثوابه، ومجاهد: جزاؤه والسدى: عاقبته، وابن زيد: حقيقته.

ويتضح أن المعانى هنا متقاربة، وهى تعنى ما يؤول إليه الأمر من وقوع ما اخبر به القرآن من أمر الآخرة.

الثالثة: آية سورة يونس (ولما يأتهم تأويله) وقد جاء ذلك بعد ذكر القرآن وانه جاء مصداقاً لما تقدمه من الكتب السماوية ومنزهاً عن الافتراء والريب، وتحديدهم فى الآيتان بسورة من مثله، فسر أهل الأثر (تأويله) هنا بما يؤول إليه الأمر من ظهور صدقه ووقوع ما اخبر به.

^١ - تفسير المنار/٣/١٤٣-١٤٤، وذلك بتصريف.

الرابعة: آيات سورة يوسف - وقد ذكرت كلمة (تأويل) فى ثمانية مواضع منها، وكلها تدل على الإخبار بالأمر الذى سيقع فى المآل من تحقيق الرؤى، منها ما رآه يوسف فى منامه، ومنها ما عرض عليه طلباً لمعرفة حقيقتها.

الخامسة: آية سورة الاسراء (ذلك خير واحسن تأويلاً). أى مآلاً.

السادسة: آيتا سورة الكهف، وكلمة الانباء بالتأويل فيها، يعنى الانباء بأمور عملية ستقع فى المآل.

ويبرز لنا العرض السابق أن لفظ (التأويل) يعنى: الأمر الذى يقع فى المآل تصديقاً لخير فى الحالات الثلاثة الأولى: أو رؤيا كما جاء فى آيات سورة يوسف، أو عمل غامض يقصد به شىء يقع مستقبلاً كما فى سورة الكهف، وكذلك نفس المعنى فى سورة آل عمران، وإذا فكلمة (تأويل) فى الاستعمال القرآنى تعنى: المآل أو المرجع أو المصير.

وفيما يتعلق بقوله تعالى: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) يونس/ ٣٩، فهناك فرق بين الاحاطة بعلمه وبين إتيان تأويله، فالاحاطة بعلمه - أى القرآن - ليست إتيان التأويل نفس وقوع المخبر به، وفرق بين معرفة الخبر وبين المخبر به، فمعرفة الخبر هى معرفة تفسير القرآن ومعرفة المخبر به هى معرفة تأويله (٨).

وفى معرض التفرقة بين التفسير والتأويل (فإن التفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل فى الألفاظ، أما التأويل فأكثر ما يستعمل فى المعانى والجمل، وأكثر ما يستعمل فى الكتب الالهية، أما التفسير فيستعمل فيها وفى غيرها) (٩).

ولقد أهتم بتفسير القرآن الكريم أئمة السلف وعلمائهم، ووضعوا فى ذلك العديد من المؤلفات المتنوعة فى علوم القرآن واساب نزوله، والناسخ والمنسوخ

١ - الإكليل فى المتشابه والتأويل: ابن تيمية: صد١٧-: ط: انصار السنة المحمدية: القاهرة: ١٩٤٧م.

٢ - مفردات غريب القرآن: الرغب الاصفهاني: كتاب الألف ٣١-٣٢/ وكتاب الفاء ٣٣٠: ط: الحلبي: ١٩٦١م.

ومناهج التفسير وغايته وأنواعه، وغير ذلك من مباحث علمية تتعلق بالقرآن الكريم^(١).

والحق أن الصحابة - رضوان الله عليهم اجمعين - كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن وبيان معانيه المرادة منه، وذلك راجع إلى اختلافهم في أدوات الفهم، فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم، فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها ملماً بغريبها، ومنهم دون ذلك^(٢).

ولهذا نرى ارتضاء البعض بالتأويل والعناية به، والحرص على فهم القرآن، ومعرفة ما اراد الله مع عدم الجروح لتأويل القرآن بالهوى ومن غير دليل (قال عبد الله بن مسعود والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم مكان احدا علم بكتاب الله، متى تناوله المطايا لآتيته)^(٣).

ومن هنا كان التفسير والتأويل في هذا العهد المتقدم وسيله إلى كشف معاني النصوص القرآنية وتبينها، أما العهد المتأخر فقد أصبح سبباً في توسيع الدلالة بإضافة معايير جديدة للنص، وذلك راجع إلى أن رجال الصدر الأول في الإسلام يتخرجون من القول بالرأى (ولعل الروعة الدينية لهذا العهد، والمستوى العقلي لأهله، وتحدد حاجات حياتهم العملية ثم شعورهم بأن التفسير شهادة على الله بأنه عني باللفظ، كل هذا جعلهم لا يقولون في تفسير القرآن إلا التوقيفى الذى نقل إليهم، وروى عن صاحب الرسالة)^(٤).

ولخطورة القول فى كتاب الله من غير علم كان السلف كثيراً ما يتخرج

١ - ومن أهم أمثلة أهم هذه المصادر التراثية: الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى، اعجاز القرآن للباقلانى، البرهان فى علوم القرآن للزركشى، أقسام القرآن لابن القيم وغيرها.

٢ - التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى: ٣٤٤ - القاهرة: بدون ناشر وبدون تاريخ.

٣ - مقدمة فى أصول التفسير: ابن تيمية: ص ٢٥: دار الترقى: دمشق: ١٩٣٦.

٤ - دائرة المعارف الإسلامية: ٤١٢/٩. مادة "تفسير": ط: كتاب الشعب: القاهرة.

أحدهم عن ذلك قال عبد الله بن شوذب به: كنا نسأل سعيد ابن المسيب عن
الحلال والحرام وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية سكت كأنه لم
يسمع^(١).

والبحث في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة من أهم ما يجب
الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه، حتى يصفوا مطالبه، ويحفظ جلال
الوحي ومكانته.

وقد ذكر العلماء للمفسر شروطاً نجملها فيما يأتي:

- ١- صحة الاعتقاد.
- ٢- التجرد عن الهوى.
- ٣- أن يبدأ أولاً بتفسير القرآن بالقرآن.
- ٤- أن يطلب التفسير من السنة فإنها شارحة للقرآن موضحة له.
- ٥- فإذا لم يجد التفسير من السنة رجع إلى أقوال الصحابة.
- ٦- فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة فقد
رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين.
- ٧- العلم باللغة العربية وفروعها.
- ٨- العلم بأصول العلم المتصلة بالقرآن، كعلم القراءات، وعلم التوحيد، وعلم
الأصول وأصول التفسير خاصة كمعرفة أسباب النزول والناسخ
والمنسوخ ونحو ذلك.
- ٩- دقة الفهم التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط
معنى يتفق مع نصوص الشريعة.

وفيما يتعلق بآداب المفسر:

- ١- حسن النية وصحة المقصد.
- ٢- حسن الخلق.
- ٣- الأمثال والعمل.
- ٤- تحري الصدق والضبط في النقل.

١ - تفسير الطبري : ١-٢٩ : ط بولاق

٥- التواضع ولين الجانب.

٦- عزة النفس.

٧- الجهد بالحق.

٨- حسن السمات.

٩- الأناة والروية.

١٠- تقديم من هو أولى منه.

١١- حسن الإعداد وطريقة الأداء. (١)

وقد وضعوا لقبول التفسير شروطاً منها:

١- ألا يرفع ظاهر المعنى المفهوم من اللفظ حسب القوانين اللغوية وما

تعارف فيه العرب في التخاطب بهذه الألفاظ.

٢- ألا يخالف قاعدة شرعية مجعاً عليها بين العلماء والأئمة.

٣- ألا يناقض نصاً قرآنياً آخر.

٤- وجوب مراعاة الفرض المسوق الآية حسب علمه بسبب نزولها.

أما أنواع التفسير الباطلة والمردودة فيجعلها بعضهم خمسة أنواع وهي:

أولاً : التفسير من غير تحصيل للعلوم التي لا بد منها من لغة ونحو.. إلخ.

الثاني: الخوض في تأويل المتشابه بدون سند عن الرسول أثر في صحيح في ذلك.

الثالث: التفسير المقدر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تبعاً له.

له (٢) ، فيرد إلى رأى الكتاب والسنة بأى طريق كان، وفي الحديث: "من

قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" (٣) .

١ - مباحث فى علوم القرآن: مناع القطان: ٣٢٩-٣٣٢: بيروت: مؤسسة الرسالة: ط٤: ٢٤٤:

١٩٩٢.

٢ - ولعل هذا المنهج هو ما يلتزم به أصحاب الفرق الغالية فيما يتعلق بتأويل الآيات

وإخضاعها لمقاصدهم المذهبية والسياسية دون مراعاة لأصول وقواعد التفسير

المجمع عليها.

٣ - رواه ابو داود فى السنة :كتاب العلم : باب الكلام فى كتاب الله بغير علم: ٣٤٤/٢

حديث: ٥٢.

الرابع: التفسير بالقطع بأن مراد الله كذا من غير دليل.
الخامس: التفسير بالاستخفاف والهوى، وذلك كمسلك الباطنية والخوارج والشيعة^(١).

وخلاصة القول فى معنى التأويل فى الاستعمال القرآنى، ومعناه ند السف الأول أن القرآن أعطى للكلمة دلالة يغلب عليها معنى العاقبة والمصير والمآل خاصة من الآيات "يوم يأتهم تأويله" الأعراف/٥٣، "وما يعلم تأويله إلا الله" آل عمران/٧، وما شابهها، وإن كان من هذا المفهوم أخذ معنى أبعد يصل بدلالة الكلمة إلى أنها معنى حقيقة الشيء وهو حقيقة الشيء المخبر به، كما بينا من قبل.

أما عند السلف الأول فقد كان الاهتمام واضحاً بالتعرف إلى معانى القرآن وتفهم مقاصده واضفى هذه الاتجاه على الكلمة معنى التفسير والفهم والتدبر.

وكنتيجة مترتبة على حث الإسلام على التدبر والتفكير وإعمال العقل والنظر والتأمل كما فى قوله تعالى: "سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" فصلت/٥٣، وفى قوله تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" محمد/٢٤، ثم دعوة الإسلام للحرية العقائدية "ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" يونس/٩٩، وقوله تعالى: "لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى".

كنتيجة لهذه التوجيهات اجتهد الصحابة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فى كثير من الأحكام، ولم يعنفهم، كما أمرهم يوم الأحزاب أن يصلوا العصر فى بنى قريظة، فاجتهد بعضهم وصلوها فى الطريق، وقال لم يرد منا التأخير وإنما اراد سرعة النهوض، فنظروا إلى المعنى، واجتهد آخرون وأخروها فصلوها ليلاً، نظروا إلى اللفظ^(٢).

ومع تطور الحياة العقلية والفكرية فى الحضارة الإسلامية، ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، احتك العقل المسلم بكثير من الثقافات والتصورات

١ - تفسير الطبرى: ١-٢٩م صدر سابق.

٢ - ابن القيم: اعلام الموقعين ١/١٧٦ ط: المنيرية: القاهرة: بدون تاريخ.

والمفاهيم، واختلط العرب بالعديد من الاجناس والمذاهب والديانات، وادى ذلك إلى التوسع فى استخدام العقل، يستنبط من النص ما يتحملة وما لا يتحملة، فظهرت مدرسة الرأى فى التشريع واستفحل أمر الفرق الكلامية يعمدون إلى القرآن ويوجهون نصوص إلى ما يوافق رأيهم، ويربطون تفسيره بأغراض مذهبية، ومما سبق نستنتج أن التأويل قد مر بمراحل ثلاثة:

المرحلة الأولى: ما عناه القرآن من أن التأويل هو المآل والعاقبة.

المرحلة الثانية: استعماله بمعنى التفسير والتدبر فى عهد الصحابة والتابعين.

المرحلة الثالثة: استعماله المتأخر بالمعنى الاصطلاحي وهو صرف معنى اللفظ عن ظاهره إلى معنى يحتمله ويقصده دليل.

التأويل عند الفرق الكلامية: انقضى عهد الصحابة والتابعين من السلف والأئمة على التسليم المطلق بما جاء فى الكتاب والسنة فيما يتعلق بقضايا العقيدة والذات الالهية، وكما يقول ابن القيم: "بل كلهم على اثبات مانطق به الكتاب العزيز والسنة النبوية، كلمتهم واحدة من اولهم إلى آخرهم، لم يسموها تأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً ولم يبدوا الشئ منها إبطالاً، ولا ضربوا لها امثلاً، ولم يدفعوا فى صدورهم واعجازها، ولم يقل احد منهم يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على حجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإجلال والتعظيم"^(١).

ومع تطور الحركة العقلية فى تاريخنا الثقافى والحضارى، وجدت الفرق الكلامية فى ظاهرة التأويل مجالاً مصباً يتوفر فى صرف الألفاظ عن معانيها الحقيقية وقد مكن لهم هذا المنهج نشر تعاليمهم، وانطلقوا يؤيدون بواسطته مذاهبهم، إذ كان الجدل والكلام هو سلاحهم فى هذا انخيار المنهجى العقلى، وفى ظل هذا الطرح واجه العقل المسلم حلقة جديدة من فهم وتناول النصوص القرآنية وإخضاعها لمذهبية الفرق وتوجهاتها السياسية، وقد قامت هذه الفرق فى أول أمرها تدافع عن العقيدة، وسلاحها فى ذلك هو الكلام الذى يقول عنه ابن خلدون "هو علم متضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف، وأهل السنة"^(٢).

١ - علام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية: ٤٩/١: مرجع سابق.

٢ - المقدمة لابن خلدون: ص ٤٥٨-٤٥٩: بيروت: دار الكتب العلمية: ط ٤: ١٩٧٨م.

وإذا كان هذا هو اساس النشأة، إلا أن الكثير من الفرق الكلامية، أثارت جدلاً اضطرهم إلى الوقوف عند الأدلة العقلية للبرهنة والحجاج، حتى شمل هذا الجدل كل الفاظ النصوص الدينية، حيث أدى ذلك المنهج إلى طرح أشكاليات فكرية وفلسفية ومنهجية متعلقة بالعقيدة الإسلامية، تركت آثارها السلبية والايجابية على مسيرة العقل المسلم، بل وعلى المسار السياسى والحضارى للدولة الإسلامية فى التاريخ.

فلقد وقع الخلاف بين الجماعة الإسلامية بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى أمر دفنة : أيدفن فى مكة وهى مسقط رأسه ومأنس نفسه؟ أم يدفن فى المدينة وهى دار هجرته ومدار نصرته؟ ثم وقع خلاف المهاجرين مع الأنصار فى شأن الخلافة: وهل يكون الخليفة من المهاجرين أو من الأنصار؟ ثم حدث الخلاف فى شأن مانعى الزكاة فى عهد "ابى بكر" ثم اختلفوا بعد ذلك فى عهد "عثمان" لأشياء تقومها عليه، وانتهى أمر هذا الخلاف بالفتنة الكبرى إلى ادت إلى مقتل عثمان، واصبح الخلاف يهدد الدولة الإسلامية، ثم كان خلاف "على" و"معاوية" الذى انتهى إلى قيام حرب اهلية. (١).

وبلغ الصراع اشده فيما سمي باحداث الفتنة الكبرى: وكانت موقعة "الجمل" ثم "صفين" بداية لسلسلة طويلة من الحروب بين الأمويين والعلويين، وما تمخض عن هذا الصراع من ظهور أكبر حزبين سياسيين نشأ فى هذه الفترة وهما الخوارج والشيعة (٢).

والشيعة هم الذين شايعوا علماً رضى الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً أو خفياً، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج عن اولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو تبعية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة، وبتتصيب الأمام بنصيبهم، بل هى

١ - الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل: ص ٩٤: مرجع سابق.

٢ - فى تاريخ هذه الفترة يراجع: الفرق بين الفرق للبغدادى ١٤-٢٠ ط صبيح وتحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد وخطط المقرئ ج ٢/٣٥٦-٣٦١ ط بولاق/١٢٧٠هـ صلى الله عليه وسلم ١٤٦ وما بعدها ط دار الفكر - بيروت - تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل..

قضية اصولية، وهى ركن الدين، لايجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويض إلى العامة وإرساله^(١).

ويقسمهم الشهرستاني إلى فرق " الكيسانية والزيدية والامامية وغلاة الاسماعيلية"، وبعضهم يميل فى الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه^(٢).

ومن أقرالهم ما أورده ابن حزم: "وقال آخرون منهم، يرجعه على الدنيا، وامتنعوا من القول بظاهر القرآن، وقالوا أن لظاهره تأويلات، ومن هذه التأويلات، أنهم قالوا: السماء (محمد) والأرض (الصحابه) وقوله تعالى: (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) هنا (عائشة)، وقالوا: العدل والاحسان (على).. والصلاة هى (دعاء الإمام) والزكاة هى (مايعطى الإمام) والحج (القصد للإمام)^(٣).

وحول خطورة وانتشار الشيعة يقول المقرئى "فانتشر مذهب الرافضة فى عامة بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والكوفة وبغداد وجميع العراق وخراسان وما وراء النهر مع بلاد الحجاز واليمن والبحرين، وكانت بينهم وبين اهل السنة من الفتن والحروب والمقاتل ما لايمكن حصره"^(٤).

أما الخوارج فيقول فيهم الشهرستاني: "كل من خرج على الامام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجاً، سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة فى كل زمان، ومن كبار فرقهم المحكمة الاولى، وهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين على رضى الله عنه حين جرى امر المحكمين، وفيهم قال النبى صلى الله عليه وسلم: "تحقر صلاة أحدكم فى جنب صلاتهم، وصوم أحدكم فى جنب صيامهم،

١ - الشهرستاني: الملل والنحل : ط دار الفكر: ص ١٤٦: تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل: بيروت - بدون تاريخ المرجع السابق: ص ١٤٧.

٢ - الفصل فى الملل والاهواء والنحل: ابن حزم: ١١٤/٢ ط الخانجى. بدون

٣ - الخطط: للمقرئى : ٣٥٦/٢ مرجع سابق.

٤ - الشهرستاني: الملل والنحل: ١١٤-١١٥. مرجع سابق. والحديث رواه النجارى فى

كتاب المناقب باب، علامات النبوة فى الإسلام ج ٦: ٦١٧-٦١٨ حديث ٣٦١٠ ط

دار المشرق - بيروت.

ولكن لايجاوز إيمانهم تراقيهم" (١).

فالخوارج كفروا من لم يقل بكفر مرتكب الكبيرة، وغلاة الشيعة نادوا برجعة على والوهيته، ثم ظهرت فكرة الامام المعصوم الذى اعتبروه مصدراً لعلم التأويل، ونادت الباطنية والرافعية بأهم أهل العلم الباطن، الذى تعلموه من الامام المعصوم، وبأنهم تعلموا ذلك من الجفر الذى ذكره (هارون بن سعيد العجلي) وكان رأساً من رؤوس الشيعة، فادعوا ان هناك جفراً كتب لهم فيه الامام المعصوم وصيته، وبين لهم كل ما يحتاجون إليه، وكل ما كان وما يكون إلى يوم القيامة" (٢).

ونفس ما قرره ابن حزم فى الفصل قرره ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث فيما يتعلق بمنهج الشيعة فى التأويل فيقول "ومن تحريفاتهم (وورث سليمان داود) معناه ان الامام ورث النبى فى علمه، (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) معنى عائشة (فقلن اضربوه ببعضها) يعنى فاطمة والزبير، والخمر والميسر هما أبو بكر وعمر، والجبت والطاغوت هما معاوية وعمرو بن العاص" (٣).

وهكذا يتضح لنا أن الشيعة والخوارج قد استخدموا التأويل لتبرير الموقف السياسى الذى يتعصبون له، وما لبث هذا الخلاف السياسى ان تحول إلى صراع عقدى حول اصول الدين واسس العقيدة، ورمت كل فرقة الأخرى بالكفر والمروق والعصيان.

نخلص من ذلك فيما يتعلق بمنهج الفرق الكلامية فيما يتعلق بالتأويل (٤) انهم سلطوا عقولهم على النصوص من خلال منهج يوجه الدلالة طبقاً لاتجاهاتهم الخاصة، مذهبية كانت أم سياسية، وعلى نحو كان يعانى منه اللفظ والمعنى معاً مما أدى إلى تحريف النصوص القرآنية والوصول بمعانيها الحقيقية إلى مفاهيم

١ - تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة: ٧٠-٧١: ط: مكتبة الكليات الأزهرية. ١٩٦٦.

٢ - تأويل مختلف الحديث: ٧١-٧٢: ط: مكتبة الكليات الأزهرية.

٣ - مرجع سابق.

٤ - اكتفينا هنا بإيراد كل من الشيعة والخوارج لما لهما من وضوح مذهبي متعصب ولاستخدامها التأويل كوسيلة مغرضة وعلى نطاق واسع.

واستخلاصات تتنافى مع القواعد التى تعارف علماء التفسير والأصول.

موقف الفلاسفة من التأويل: ونكتفى هنا برأى ابن رشد: (٥١٤-٥٩٥ هـ)

باعتباره يمثل آخر حلقات الابداع الفلسفى فى تراثنا، بالاضافة إلى أن رأيه حول مفهوم التأويل يتسم بالاعتدال الذى نفتقده عند آخرين من أمثال الفارابى ابن سينا. فهو يعرض لمعنى التأويل "هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب فى التجزؤ، من تسمية الشئ بشبيهه أو بسببه أولاً حقه أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التى عُددت فى تصريح اصناف الكلام المجازى ^(١)، وهذا معناه أن ابن رشد يرى فى التأويل وسيلة تمكن الفيلسوف من تجنب التعارض والتناقض الذى يبدو بين ظواهر النصوص وبين الحقائق اليقينية التى تأتى ثمرة البرهان العقلى، ومن واجب اصحاب البرهان عدم استخدام التأويل إلا عندما يخالف ظاهر الشريعة العقل، فيوجهون النص باستخدام التأويل ليتفق مع العقل.

كما يؤكد ذلك قوله "ونحن نقطع قطعاً ان كل ما أدى إليه البرهان، وخالفه ظاهر الشرع، ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربى، وهذه القضية يشك فيها مسلم، ولا يرتاب بها مؤمن، وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه، وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول" ^(٢).

وقد رفض ابن رشد نشر التأويل للعامة لأن التأويل يختص به العلماء، وأنه يحتاج إلى مقدرة خاصة وادراك متوقد، وان اطلاقه للعامة كان من بين الأسباب التى ادت إلى الاساءة إليه، والخطأ فى استعماله " فكيف يمكن أن يتصور اجماع منقول إلينا عن مسألة من المسائل النظرية، ونحن نعلم قطعاً أنه لا يخلو عصر من الأعصر من علماء يرون ان فى الشمع اشياء لا ينبغي ان يعلم بتحقيقها جميع الناس" ^(٣)، وتنتقل الآن مفهوم التأويل عند الصوفية.

١ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال: ابن رشد: ص ٣٢: تحقيق

د. محمد عمارة القاهرة: دار المعارف: ط ٢: بدون تاريخ.

٢ - المرجع السابق: ص ٣٣.

٢ - نفسه: ص ٣٦.

الصوفية والتأويل: لاشك أن العديد من الصوفية قد نسبوا الظاهر إلى الباطن كنسبة اللب إلى القشر، واعتقدوا في حقيقة الباطن وزيف الظاهر، مما دعاهم إلى التعمق في استنباط الدلالات من الالفاظ والبحث وراء اسرارها، وبذلك سيطرت النزعة الباطنية على التأويل في الخطاب الصوفى وخاصة عند الغلاة الصوفية منهم الذى اشتهروا بتقديم التصوف الشطحى^(١).

وقد اعتقد غلاة الصوفية ان المعانى الظاهرة من الالفاظ هي حجب مضطربة واقنعة متناقضة امامهم، مما جعلهم يبلغون الغاية القصوى في التأويل الباطنى الذى يبعد بالالفاظ عن حقائقها ودلالاتها ومقاصدها الشرعية.

وإذا عرضنا لنماذج من غلاة الصوفية فنكتفى بـ "محيى الدين ابن عربى": (٥٦٠-٦٣٨ هـ) ولن نقف طويلاً عند رصد وسرد الآراء والتحليلات المتعددة لتصوف ابن عربى، وسندخل مباشرة في موقفه المتناقض من قضية التأويل، حيث نجد أن هناك اتجاهين في مذهبه الصوفى فيما يتعلق بالتأويل.

ففى الفتوحات المكية، يجعل التأويل سبباً من اسباب الضلال العقائدى فيقول: "فماضل من المشبهة إلا بالتأويل وحمل ماوردت به الآيات والأخبار على ماسبق إلى الأفهام من غير نظر فيما يجب لله تعالى من التنزيه، فقادهم ذلك إلى الجهل المحض والكفر الصراح، ولوطلبوا السلامة وتركوا الآيات والأخبار على ماجاءت من غير عدول منهم فيها إلى شىء البتة، واكلوا علم ذلك إلى الله ورسوله وقالوا لاندري لكان يكفيهم قوله تعالى: "ليس كمثله شىء"، ويضيف "...ولابد أن يسأل الله كل مؤول عما أوله يوم القيامة ويقول له: اضيف إلى نفسى شيئاً فتنزهنى عنه وترجع عقلك على إيمانك وترجع نظرك على علم ربك، فاحذريا أخى أن تنزه ربك عن امر اضافه إلى نفسه على السنة رسله كان ما كان ولا تنزهه بعقلك مجرداً جملة واحدة.. فإن الأدلة العقلية كثيرة التنافر للأدلة

١ - انظر فى ذلك: شطحات الصوفية: للدكتور عبد الرحمن بدوى: ج١: حول ابو اليزيد البسطامى، حيث نقل أقوالاً كثيرة فى شطحات الصوفية.

الشرعية فى الالهيات" (١).

وفى طريق النص السابق الرافض الواضح لابن عربى لاستخدام الله عن طريق التصورات العقلية التى تجنح بنا عن المرامى الشرعية والمقاصد الحقيقية لمبادئ العقيدة الإسلامية.

هذا المنهج الذى اقترحه ابن عربى فى "الفتوحات المكية" يتناقض مع اقواله فى نفس المصدر حين يتحدث عن هؤلاء الذين يتناولون النصوص بظواهرها فيقول ولا ينفذون إلى معانيها الباطنة فيقول "هؤلاء لسانهم ليس لساننا، وأن المعرفة التى يهبها الحق تعالى لمن شاء من عباده لا يستقل العقل بإدراكها بفكره ولكن يقبلها ولا يقوم عليها دليل ولا برهان، لأنها وراء طور مدارك العقول" (٢).

وفى ما يتعلق بقصص الأنبياء فقد أول آياتها فى القرآن الكريم تأويلاً يصل إلى درجة التجريح لبعضهم، بأنهم لم يقفوا على حقيقة ما وقف عليه ابن عربى، فهو - على سبيل المثال - يفضل الولى على النبى فيقول "ولما كانت الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - لاتأخذ علومها إلا من الوصى الخاص الإلهى، فقلوبهم ساذجة من النظر العقلى لقصور العقل من حيث نظره الفكرى عن إدراك الأمور على ما هى عليه.. فلم يبق العلم الكامل إلا فى التجليات الإلهية وما يكشف الحق عن أعين البصائر والأبصار من الأغطية" (٣).

والنص ليس فى حاجة إلى تعليق حيث يبرز فيه ادعاء ابن عربى أن ما يصل إليه من تجليات وافكار هو من عند الله وايس من عند نفسه.

١ - انظر فى موقف ابن عربى من التأويل: الفتوحات المكية : ط. بولاق ١٨٨٦م: ج ١-١١٩-٢٢٢ب ٣، ٢-٢٥ب ٧٣، ٢-٧٦٨-٧٧٤ب ٢٧٣، ٣-٦٢١-٦٣٧ب ٣٧٧، ٥١٣-٥٢٢ب ١٩٨، ٦٣٦ب ٢٠٤، ٢-٢٧٦ب، ٣-٧٤-٧٨ب ٣١٥، ٢-٣٩٣-٤٢٢ب ١٧٧، ٤-٧- وكذلك كتابه فى تفسير القرآن: المقدمة ص ٤: ط: المكتبة العصرية: بيروت: ١٩٧٣.

٢ - الفتوحات المكية: ١/١٢١: مرجع سابق.

٣ - فصوص الحكم: ابن: ١/١٣٥: تحقيق: أبو العلا عفيفى: بيروت: دار الكاتب- ١٩٤٦م.

وبعد أن عرضنا لمعاني التأويل دلالاته فى اللغة وعند المفسرين وفى القرآن الكريم ووروده فى السنة الكريمة وفى اصطلاحات الفرق والفلاسفة والصوفية، نحاول الآن التعرف على معنى الغلو كمنهج التزمت به العديد من الفرق الباطنية -تحديداً- حتى نستكمل المقصود من التأويل عند فرق الغلاة.

الفصل الثاني

مفهوم الغلو

لاشك ان العلم بدلالات المشكلات الفلسفية وحقائقها، من اهم المداخل الموضوعية للتعرف على جوهر القضايا والمسائل التي يثيرها العقل الانساني في كل وقت ، كذلك فان الوعي بالمفاهيم يعد مدخلاً اساسياً لتضييق دائرة الخلاف او ازالته ، واحكام الناس على الافكار او على الاشخاص عائدة الى التصور، وفي المأثور "الحكم على الشيء فرع من تصوره".

وقد اهتم العلماء والمفكرون المسلمون بالألفاظ والمصطلحات اهتماماً بالغاً، وحرصوا على تحديدها حتى لا تكون هذه الألفاظ نسبية غير محررة يستخدمها كل فريق كما يحلو له، بناء على ما تدفعهم إليه الأهواء، وما تمليه عليهم المؤثرات الغربية الوافدة على البيئة الإسلامية والنسبية تركت آثارها الواضحة على المسار المذهبي والسياسي لتاريخنا.

كذلك والّا تحمل الألفاظ الإسلامية على الاصطلاح الحادث لقوم او فئة، فكثير من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعاداتهم في الألفاظ، ثم يجد تلك الألفاظ في النصوص المتعلقة بالإسلام، فيظن أن المراد من ذلك نظير مراد قومه، ويكون مراد الشارع غير ذلك.

ومصطلح "الغلو" يعد من المصطلحات التي لا بد فيها من الرجوع إلى معيار ثابت، إذ لو تركت المسألة إلى العقل إلا في غياب المصادر الشرعية، لأصبحت نسبية بحسب اختلاف أهوائهم ومشاربيهم وإنتماءاتهم، واتباع الهوى يفضى لاختلاف غير متناه، بحيث تتحول الحقائق إلى التغيير والتبديل في غياب المعيار الصادق والخضوع للنسبية.

فثبات المعيار الذي ينظر بواسطته، وتفهم الحقائق في ضوءه أمر لا محيد عنه.

والغلو من حيث اللغة: تدور الأحرف الأصلية لهذه الكلمة ومشتقاتها على معنى واحد يدل على مجاوزة الحد والقدر، قال ابن فارس: "الغين واللام

والحرف المعتل اصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر" (١).
 يقال غلا غلاءً فهو غالٍ، وغلا في الأمر غلواً أى جاوز حده، وغلت
 القدر تغلى غلياناً، وغلوت بالسهم غلواً إذا رميت به ابعده مما تقدر عليه، فالغلو:
 (هو مجاوزة الحد، يقال غلا في الدين غلواً) (٢) تشدد وتصلب حتى جاوز
 الحد (٣).

وفى لسان العرب: معناه البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها
 وغوامض متعبداتها وقد يرد بمعنى التشدد يقال غلا في الدين أى تشدد فيه (٤).
 وقد ورد لفظ الغو في القرآن الكريم مرتين فى آيتين تحت مادة (تغلو)
 يقول سبحانه: "يا أهل الكتاب لاتغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق"
 النساء/ ١٧ ويقول أيضاً "قل يا أهل الكتاب لاتغلو فى دينكم غير الحق"
 النساء/ ٧٧.

وفسر الزمخشري الآية الاولى بقوله: "غلت اليهود فى حط المسيح عن
 منزلته حيث جعلته لغير رشدة، وعلت النصارى فى رفعة عن مقداره حيث
 جعلوه إلهاً" (٥).

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم امته عن الغلو وذلك لئلا يقع
 المسلمون فيما وقع فيه من سبقهم من الأمم: "اياكم والغلو فى الدين فإنما أهلك
 من كان قلبكم الغلو فى الدين" (٦).

كذلك وردت احاديث تبين مآل من غلا وأنه صائر إلى الهلاك، بل يرد
 ذلك مكرراً ثلاث مرات فى حديث واحد، مما يفيد عظيم الأمر وخطره، يقول

-
- ١ - معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: مادة (غلو).
 - ٢ - معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: مادة (غلو).
 - ٣ - مختار الصحاح - مادة غلا.
 - ٤ - لسان العرب: ابن منظور: مادة غلا.
 - ٥ - تفسير الكشاف: الزمخشري: ج: ١: صلى الله عليه وسلم ٥٨٤: ط: مصطفى البابي
 الحلبي. مصر: ١٩٧٢.
 - ٦ - رواه أحمد: ٢١٥/١، ٣٤٧ وابن ماجه (٣٠٢٩) كتاب المناسك.

الرسول صلى الله عليه وسلم: "هلك المتطعون" قالها ثلاثاً^(١).
قال النووي: هلك المتطعون، أى المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود
فى أقوالهم وأفعالهم^(٢).

كما جاء فى حديث آخر أن التشديد على النفس سبب لوقوع التشديد من
الله فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول: "لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم
فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها
عليهم"^(٣).

وهذا التشديد على النفس الذى هو ضرب من ضروب الغلو، بينت السنة،
أن عاقبة صاحبه إلى الانقطاع وأنه ما من مشاد لهذا الدين إلا ويغلب وينقطع
فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا
الدين يسر ولن يشاد^(٤) الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا وأبشروا واستعينوا
بالغدوة^(٥) والروحة^(٦) وشيء من الدلجة^(٧).

قال الحافظ ابن حجر "معنى لا يتعمق أحد فى الاعمال الدينية، ويترك
الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب"^(٨).
وحتى لا يقع ذلك جاء ختام الحديث أمراً بالتسديد والمقاربة.

-
- ١ - رواه مسلم: ٢٠٥٥/٤ كتاب العلم. باب هلك المتطعون.
 - ٢ - صحيح مسلم: بشرح النووي: ٢٢٠/١٦.
 - ٣ - أخرجه ابوداود: حديث ٤٩٠٤: كتاب الأدب.
 - ٤ - يشاد الدين أى يقاويه مقاومه ويكلف نفسه من العبادة فيه فوق طاقته، والمشاد
المغالبة "ابن الأثير": النهاية فى غريب الحديث ٤٥١/٢.
 - ٥ - الغدوة سير أول النهار، نقيض الرواح: النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير:
٣٤٦/٣.
 - ٦ - يقال راح القوم إذا ساروا: المرجع السابق لابن الأثير: ٢٧٣/٢.
 - ٧ - الدلجة: سير الليل: المرجع السابق لابن الأثير ١٢٩/٢ والحديث رواه البخارى
١٦/١ كتاب الإيمان. باب الدين يسر.
 - ٨ - فتح البارى: ٩٤/١: بشرح ابن حجر.

الغلو والغلاة فى اصطلاح علماء الفرق: ينصرف الغلو فى الاصطلاح إلى الذين انتحلوا التشيع وغلوا فى أنمتهم أو زعمائهم وعرف هؤلاء بالغلاة أو الغالية.

وقد ذكر العلماء تعريفات لهؤلاء الغلاة تتضمن عقائدهم وأفكارهم، يقول فيهم الشهرستاني: "الغلاة هم الذين غلوا فى حق أنمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفى الغلو والتقصير.

وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ؛ ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى ، فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت أحكام الإلهية فى حق بعض الأئمة ، كان التشبيه بالأصل والوضع فى الشيعة ، وإنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول ، وأبعد من التشبيه والحلول ^(١) والأشعرى يذهب إلى أن غلاة الشيعة "سموا غلية لأنهم غلوا فى على وقالوا فيه قولاً" ^(٢).

وجاء الامام ابن حزم فتحدث عن طوائف الغلاة من الشيعة فذكر أن بعضهم يقول بالإلهية الأمام على ابن أبى طالب والأئمة بعده وبعضهم قال بنبوته ويتناسخ الأرواح وذكر من أرائهم أيضاً القول بالرجعة والتأويل ^(٣).

ومن خلال الأقوال السابقة -وغيرها- التى وضحت لنا تعريف فرق الغلاة، أو الآراء التى يكون بها الغلاة غلاة، نستطيع أن نلخص تلك العقائد التى عرفت عند الغلاة وهى: الحلول وادعاء النبوة والتناسخ والرجعة والتشبيه والتجسيم والبداء والتأويل.

١ - الملل والنحل: الشهرستاني ص ١٧٣: تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل: طبعة: دار الفكر: بيروت: بدون تاريخ.

٢ - مقالات الإسلاميين واختلافات المصلين: الأشعرى تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد: ط: ١: ص ١: صلى الله عليه وسلم ٦٦ القاهرة: النهضة المصرية: ط ٢: ١٩٦٩.

٣ - الفصل فى الملل والاهواء والنحل: ابن حزم: مج ٣: ج ٤: بيروت: دار المعارف: ١٩٧٥.

وفيما يخص التأويل، فإنه في حد ذاته ليس غلوًا، وإنما الغلو في حدود التأويل، وفيما يؤدي ويترتب عليه كما سنرى ذلك إن شاء الله في فصولنا القادمة.

- ومن أهم أسباب الغلو التي ولدت حركة الغلو الأولى أو بدايات الغلو:
- ١- افراط الكوفيين في حبهم للامام على ثم تخليهم عنه وتقصيرهم في حقه.
 - ٢- الاضطهاد الذي لاقته الشيعة وحرمانهم من الولاية واضطرارهم إلى السرية والكتمان.

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى فلن نقف عندها طويلاً، حيث اجمعت العديد من المصادر التاريخية على مكانة علي بن ابي طالب رضي الله عنه (١).
ففيما يتعلق بالغلو في حب علي، فقد حدث بعد أن استمرت الحرب بين الامام علي وبين الخليفة معاوية رضي الله عنهما، قعد الكوفيون عن نصره الامام وفشلوا في الدفاع عن حقه وحقهم، وعندما قتل الامام على ندم الكوفيون على تقريظهم في جنب الامام علي، وهذا الندم أدى بهم إلى الغلو، وفي ذلك يقول الدكتور طه حسين: "فما رأيك في قوم قعدوا عن نصر علي بعد صفيه حتى بغضوا إليه الحياة وأرهقوه من أمره عسراً فلما فارقهم وفارقتهم بموته سماحة الخلق ولين العيش كلفوا بذلك الذي قعدوا عن نصره أشد الكلف، وهاموا في حبه أعظم الهيام وقالوا في تعظيمه وإجلاله أعظم القول وغلا بعضهم في ذلك باخرة حتى رأوا في علي عنصراً من الألوهية يرفق فوق غيره من

١ - يراجع في ذلك: تاريخ الطبري ج٣: صلى الله عليه وسلم ١٣١: ط دار المعارف بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم سلسلة ذخائر العرب. وعبقريّة الامام للعقاد سلسلة إقرأ بدار المعارف ص ١٢٩: ١٩٧١ ود. طه حسين في: علي وبنوه صلى الله عليه وسلم ١٥ دار المعارف ط ١٩٧٨، والتفكير الفلسفي في الإسلام د. عبد الحليم محمود ج١ صلى الله عليه وسلم ١٧٦: الدار المصرية ١٩٧٧ د. النشار في نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ مقدمة الطبعة الثانية دار المعارف ١٩٨١ وشرح نهج البلاغة ج١: ص ٥١٧: بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار احياء الكتب العربية ١٩٦٥، وابن قتيبة في الإمامه والسياسة: ج١ صلى الله عليه وسلم ١٤٥: نشر مصطفى الحلبي ١٩٦٩ م.

الناس" (١).

وفي فقرة أخرى أنهم "تدموا على ما فرطوا في جنبه وما قصرُوا في ذاته فدفعوا إلى ما دفعوا إليه من الغلو في حب على والإسراف في الهيام به والإفتتان في تكبيره وتعظيمه يرون في ذلك كله عزاء عما قدموا إليه من الإساءة إليه أثناء حياته" (٢).

وقد أخذ حب الكوفيين لآل البيت (ممثلاً في على وذريته) يزداد مع الزمن ومع تراكم عوامل الندم اشتد ضغط الحكام حتى تحول عند بعضهم إلى الغلو الذي رفع الأئمة عن مصاف البشر إلى الألوهية (٣).

ويقول في ذلك الدكتور النشار: كان مقدمة الغلو في عقائد التشيع غلواً في الحب، والحب يستتبع دائماً الأسطورة تحيط المحبوب بكل غال (٤). وبذلك يكون هناك نوعان من الغلو، الغلو في الحب والغلو في العقيدة وإن كان الأول أدى إلى الثاني كما يقول الدكتور النشار (٥) فالمخبة والحب لاضير فيها وإنما أدت المحبة والغلو في الكوفة إلى اخطر النتائج في المجتمع الإسلامي.

وفيما يتعلق بالاضطهاد الذي لاقته الشيعة وحرمانهم من الولاية، فإن الشيعة لاقت اضطهاداً وعنتاً من الحكام، سواء كانوا أمويين أو عباسيين وتعرض الكثيرون منهم للقتل والمحن وعلى رأسهم الأئمة فانزل بآل البيت أقسى المصائب وأعظم البلايا "بحيث يعتبر تاريخ تلك الاسرة حقاً مأساة من أكبر المآسي في تاريخ الإنسانية" (٦).

١ - على وبنوه (الفتنة الكبرى ج٢): د. طه حسين: ص ١٧١: مرجع سابق.

٢ - نفسه: ص ١٧٢.

٣ - تاريخ الامامية: د. عبد الله فياض: ص ٩١: منشورات دار الأعلمي للمطبوعات: ١٩٧٥م.

٤ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. النشار: ج٢: ص ٦٨: مرجع سابق.

٥ - نفسه: ج١: ص ٧٠.

٦ - نفسه: ج٢: ص ٥.

ولما جاء العباسيون كان الأمل أن يكونوا أرحم بهم من بنى أمية، ولكن العكس تماماً هو الصحيح، فقد نزل بالعلويين على يد العباسيين أنواع البلاء من القتل والسجن مما يعذر الانسان عن تصويره فعند تتبع كتب التاريخ لاتكاد تمر سنة إلا وفيها علوى قتل أو سجن أو مثل به.

هذه المحن وتلك الاضطهادات أدت إلى الغلو الشيعى وأوجدت مناخاً ملائماً للغلاة.

فمن جهة "قست كل هذه المحن الجسام المتتابعة على اهل العراق ومن إليهم فرأوا فى على وبيته غير ما يرى فيهم سائر الناس ورفعوهم من أجل هذه المحن نفسها إلى هذه المكانة الممتازة التى رفعوها إليها. وغلا غلاتهم بعد ذلك فأضافوا إليه وإلى بنيه من خصال التقديس ما لا يضاف عادة إلى الناس" (١).

وحول لجوء شيعة على إلى السرية يقول الأستاذ أحمد أمين: هذه الاضطهادات كان من نتائجها إحكام الشيعة للسرية فهم أقدر الفرق الإسلامية على العمل فى الخفاء وكتمان عملهم حتى يتمكنوا من عدوهم وهذه السرية استلزمت الخداع والالتجاء إلى الرمز والتأويل (٢).

ومن غلاة الشيعة تكونت جمعيات سرية ترمى إلى التغلب والوصول إلى السلطة السياسية وفى سبيل هذه الغاية لم تجد حرجاً بالتذرع بجميع الوسائل وصار أعضائها يؤولون القرآن لخاصتهم تأويلاً مجازياً (٣).

ويذهب جولدزيهر إلى أن عجز الشيعى عن المجاهرة عن عقيدته الحقيقية أدت به إلى السخط، وكان من نتائجه ظهور الآراء الدينية غير المألوفة (٤).

-
- ١ - على وبنوه: د. طه حسين: ص ١٧٣: مرجع سابق.
 - ٢ - فجر الإسلام: أحمد أمين: ص ٢٧٥: القاهرة: النهضة المصرية: ١٩٧٨.
 - ٣ - دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام: ترجمة د. محمد عبد الهادى، أبو ريدة: القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر: ط ٤: ١٩٥٧ م.
 - ٤ - العقيدة والشريعة فى الإسلام: جولدزيهر: ص ٢٠٢: ترجمة وتعليق: د. محمد يوسف موسى، د. على حسن عبد القادر، الأستاذ/ عبد العزيز عبد الحق. نشر: دار الكتب الحديثة. بمصر. ١٩٥٩.

ومن الملاحظ كتاب الفرق في تقسيمهم لفرق الشيعة قد وضعوا الغلاة كفرقة داخل فرق الشيعة ولم يكن هذا الأمر مثار جدال ومناقشة، حتى نادى بعض علماء الشيعة المعاصرين ومعهم بعض الكتاب بضرورة نبذ الغلاة من محيط الشيعة وإخراجهم عن دائرتها^(١).

والحقيقة أن ما يدعونا إلى تصنيف الغلاة بين الشيعة أن هناك نسباً متصلاً بينهم وبين الشيعة فهم قد تفرعوا تاريخياً عن الإمامية وعن الإسماعيلية وعن الكيسانية وغيرها من الفرق التي تعد في جملتها من الفرق المعتدلة.

كذلك فإن الغلاة قد نادوا بحق علي وذريته في الإمامة، وقالوا بالوصية وغيرها من اعتقادات الشيعة ولكنهم أفرطوا في تصورهم لذلك الحق وأضافوا إلى عقائد المعتدلين أفكاراً وعقائد كثيرة باعدت الشقة بينهم.

والدكتور النشار في بحثه عن (التشيع نشأته وتطوره) درس الجميع على أنهم شيعة سواء غلاة أو معتدلين وقال: "والغلاة من قرامطة وعلانية وبيانية وخطابية ودروز.. إلخ وهم كلهم شيعة"^(٢).

وبحثنا هذا يتعلق بدراسة الغلاة فقط من حيث تأثيرهم بمؤثرات دينية ومذهبية وفلسفية تتصادم مع مرتكزات وأصول الخطاب الإسلامي من ناحية، مع تأكيدنا على أهمية استخدام المنهج العقلي وهو ما سنركز عليه حين تعرضنا لنقد المنهجية التي استخدمها الغلاة من الفرق مثار البحث.

١ - يراجع في ذلك: أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين كاشف الغطاء: ص ١٠٢ -

١٠٤: لبنان: مطبعة العرفان بصيدا. ١٩٣١م والشيعة في التاريخ لمحمد حسين

الزوين العاملي: ص ٢٢٧-٢٣٠: بيروت: دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع.

١٩٧٩م.

٢ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. النشار: ج ٢: صلى الله عليه وسلم ١: مرجع سابق.

الفصل الثالث

الاتجاه الباطني والارتكاز على التأويل

نحاول الآن التعرف على معالم الاتجاه الباطني، قبل ان نعرض لمنهج في التأويل : متخذين من فرق الإسماعيلية نموذجاً لمناهج الباطنيين التي تعد من أهم غلاة الفرق التي استخدمت التأويل لنشر أفكارها وتدعيم حركتها في محيط التاريخ المذهبي والسياسي للدولة الإسلامية.

والباطن اسم من اسماء الله عز وجل كما جاء في قوله تعالى: "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" الحديد/٣.

ومن حيث اللغة: المحتجب عن اصار الخلائق واوهمهم فلا يدركه بصر ولايحيط به وهم^(١).

والباطنية، انما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، وإنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية، وعند العقلاء والأذكياء رموزاً وإشارات إلى حقائق معينة^(٢).

ويقال أن محمد بن إسماعيل هو الذي أسس دعوة الباطنية، وأنه تلقب بميمون القدح ليستر نفسه عن أعين الرقباء^(٣).

ويقال عنه أنه كان يهودياً يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام، وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب، وكان حريصاً على هدم الشريعة، لما ركب الله في اليهود من عداوة للإسلام وأهله، فلم يروجاها يدخل به على الناس حتى يردهم عن الإسلام الطف من دعوته إلى أهل البيت^(٤).

١ - لسان العرب: ٥٤/١٣.

٢ - فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالي: ص ١١: تحقيق د. عبد الرحمن بدوي: الكويت: مؤسسة دار الكتب المصرية.

٣ - عارف تامر: القرامطة: ص ٣٦: طبعة دار الكاتب العربي: بيروت: بدون تاريخ.

٤ - كشف اسرار الباطنية: محمد بن مالك الحمادي: ص ١٧-١٨: ط الأنوار: مصر

١٩٣٩م.

والباطنية، تندرج ضمن اتجاهات لطوائف و فرق مختلفة، القاسم المشترك فيما بينها أو الصفة العامة التي تغلب عليها وهي تأويل النص لظاهر بالمعنى الباطن، تأويلاً يذهب مذاهب شتى قد يصل بالمذاهب الباطنية التي تعمل التأويل في النص، إلى حد التناقض فيما بينها بحيث تصبح الفرق الباطنية خارجة عن صلة الإسلام به ^(١) .

ويعتقد الباطنيون أن الله تعالى جعل كل معاني الدين في الموجودات، ولذا يجب أن يستدل بما في الطبيعة، وما على وجه الأرض على إدراك حقيقة الدين، وقالوا إن المخلوقات قسمان: قسم ظاهر للعيان، وقسم باطنى خفى، فالظاهر يدل على الباطن، وما ظهر من أمور الدين من العبادة العملية، وما جاء في القرآن هي معان يعرفها العامة، غير أن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطنياً لا يعلمه إلا الأئمة وكبار حججهم وأبوابهم ودعاتهم ^(٢) .

والتأويل الباطنى كما عرفه داعيهم جعفر بن منصور اليمنى هو "باطن ظاهر التنزيل" ^(٣) أى المعانى الباطنية لظاهر القرآن الكريم.

والتأويل الباطنى هو صرف الألفاظ والنصوص الشرعية عن معانيها إلى معان باطنية بعيدة عن معناها الشرعى واللغوى وذلك التأويل الباطنى بدون دليل سائغ مقبول من اللغة أو الشرع، وبدون ضوابط وهذا التأويل فاسد مرفوض، ولهذا عد العلماء هذا التأويل تحريفاً للكلم عن مواضعه ^(٤) ،

وذلك من صفات اليهود وخصائصهم قال تعالى: "من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه" النساء/٤٦، وقال ابن القيم "ان الباطنية عارضت الوحي بالتأويل الباطن ولا ضابط للتأويل عندهم، بل ماتأتى به تتبع لاهوائهم كما قال تعالى: " فإن لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهوائهم" القصص/٥٠، وقال تعالى: "وإن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم" المائدة/٩، فما هو إلا

١ - فضائح الباطنية: مرجع سابق: ص ١١.

٢ - الينابيع: السجستاني: ص ١٣ تحقيق: مصطفى غالب: بيروت: المكتب التجارى:

ج ١٩٦٥: ١١١م.

٣ - الكشف: جعفر بن منصور: ص ١٣٨.

٤ - منهاج السنة: ابن قتيبية: ٤٠٥/٣.

الهوى أو الوحي كما قال تعالى: "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" النجم/٣-٤، فجعل النطق نوعين: نطقاً عن الوحي ونطقاً عن الهوى، ثم إذا رد على هؤلاء باطلهم، قالوا إن فى الباطن ما يكذبه الظاهر، فباطن هؤلاء لا ضابط له، بخلاف الوحي، فإنه أمر مضبوط، مطابق لما عليه الأمر فى نفسه، تلقاء الصادق المصدق من لديه حكيم عليم"^(١).

وقال يحيى بن حمزة العلوى "فإن كانت الألفاظ غير محتملة لهذه التأويلات من جهة اللغة إن كان الكلام لغوياً، ولا من جهة الشرع إن كان الكلام شرعياً، ولا من جهة العرف إن كان الكلام عرفياً، اسقط هذا التأويل، والغى وطرح، ونسى ولم يقع عليه تعويل ولا إلى العمل به سبيل، وهذا كتأويلات الباطنية كلهم، فإنهم راعوا فى صحة التأويل قول الامام بزعمهم، ولم يلتفتوا إلى شىء من موضوعات اللغة وقوانينها، وهذا كما قالوا، إن المراد باللوح والقلم، السابق والتالى وإن المراد باللبن العلم، وإن الثعبان هو البرهان، إلى غير ذلك من هذيانهم، فإنما إذا عرضنا هذه التأويلات على اللغة العربية وجدنا ذلك غير جائز فيها لا على قرب ولا بعد، وإن أحداً من أرباب اللغة وأئمة الأدب لا يعرف اللوح والقلم، بمعنى السابق والتالى، بل لا يعرف السابق والتالى أبداً بالمعنى الذى كذبوه، فيجب إذن إلقاء ما قالوه وطرحه"^(٢).

وقد اعتمدوا فى تأسيس دعوتهم على أن لكل آية تفسير، ولكل حديث تأويل، وأن ميموناً قد زخرف لهم أقوالاً وضرب أمثالاً، وجعل لآى القرآن شكلاً يوازيه ومثلاً يضاهيه، وجعل أصل دعوته وأساسها الدعاء إلى الله، ويحتج لها الكتاب والسنة ومعرفة مثله ومقوله، والاختصاص بالإمامة والطعن فى بقية الصحابة"^(٣).

فكان التأويل احدى الوسائل الرئيسية التى اتخذتها الحركات الباطنية

- ١ - ابن القيم: الصواعق المرسلة: ١٠٥٢/٣: تحقيق د. على محمد الدخيل الله: الرياض: دار العاصمة: ط١: ١٤٠٨ هـ.
- ٢ - مشكاة الأنوار: ١٤٢-١٤٣: يحيى بن حمزة العلوى: تحقيق د. محمد السيد الجليند: صنعاء: الدار اليمنية للنشر والتوزيع: ط٣: ١٤٠٣ هـ.
- ٣ - كشف أسرار الباطنية: ص ١٧: مرجع سابق

لجعل عقائدها شرعية وصحيحة - على حسب زعمهم - فكان بالنسبة إليهم إدارة صالحة لإيهام الناس أن أرائها متفقة مع نصوص القرآن الكريم حتى صارت تلك الحركات ترى في هذا التحوير للمعنى الظاهري السبيل الوحيد لتفهم القرآن، وبذلك اهتموا التفسير الصحيح، بل صارت أحكام القرآن في رأى اتباعها غير واجبة الاتباع ^(١) وهم في تأويلهم للقرآن يعتقدون بأن هناك المعنى الحرفي للآيات - هو معنى لا أهمية له في نظرهم - حقائق فلسفية تستخلص بالتفسير المجازي، ولكي يضيفوا على هذا التفسير الباطني مسحة شرعية زعموا بأن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضى لوصيه على بالمعنى الباطني لآيات القرآن ^(٢) وإن هذا المعنى لا يلحق إلا عن طريق التعليم من الإمام أو من معلم ينيبه، ويعتقدون أيضاً أن من تقاعد عن عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والباطن والأغوار، وقنع بظواهرها، كان تحت الآصار والأغلال، واراودا بالأغلال التكاليف الشرعية، لأن من ارتقى إلى علم الباطن ~~انجذب~~ انجذب عنه التكليف واستراح من اعبائه ^(٣).

لقد ركزت الفرق الباطنية على المعاني الباطنية واغفلوا ظواهر النصوص القرآنية، بدعوى أن لكل شيء ظاهر محسوس باطنياً، ولكل تنزيل تأويلات والباطن يساوى التأويل، واصطنعوا لذلك مذهب التأويل لكي يستطيعوا أن يصلوا إلى مآربهم وتدعيم نظرياتهم العقائدية والفلسفية وغير ذلك ^(٤).

وحول نشأة التأويل الباطني: التأويل الذي هو القاسم المشترك بين جميع الفرق الباطنية، لم تكن نشأته حديثة العهد، بل قديمة جداً، وكان معروفاً في المجتمعات والفلسفات القديمة.

-
- ١ - دائرة المعارف الإسلامية: مج ٤: ص ٥٢٣.
 - ٢ - العقيدة والشرعية في الإسلام: جولدزيهر: ص ١٥٦: ترجمة د. محمد يوسف موسى، ود. علي حسن عبد القادر، ود. عبد العزيز عبد الحق. دار الكتب الحديثة بمصر.
 - ٣ - فضائح الباطنية: لابي حامد الغزالي: ص ١١-١٢: مرجع سابق.
 - ٤ - مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية: د. محمد محمود عبد الحميد أبو قحف: ص ١٧: رسالة دكتوراه غير منشورة: جامعة القاهرة: كلية دار العلوم: ١٩٨٣ م.

وأول من فكر بالتأويل الرمزي المفكرون اليونانيون للتخلص من شعر
هوميروس الذي أصبح نصاً ذا سلطة وكان ذلك في القرن الخامس قبل الميلاد
ووسيلتهم في ذلك التفريق بين الظن والحقيقة^(١).

إن كثيراً من اليهود أولوا الكتب المقدسة في العهد القديم تأويلاً رمزياً إلا
أن أشهرهم وأكبر ممثلي نزعة التأويل من العصر القديم هو "فيلون اليهودي"^(٢)
وهو من جعل من التأويل مذهباً قائماً برأسه ومنهجاً في الفهم، وذلك في القرن
الأول الميلادي.

وقد دفعه إلى استحداث هذا المذهب في اليهودية، الحملة التي قام بها
المفكرون اليونانيون على التوراة وما فيها من أساطير وقصص ساذجة وغير
معقولة - ذلك بعد تحريفها من قبل اليهود - فاضطر فيلون إلى الدفاع عن
التوراه بتأويل هذه المواضع تأويلاً باطنياً.
ورأى أن ذلك التأويل هو روح النص المقدس، وإن التفسير بالمعنى
الحرفي سيؤدي إلى الكفر^(٣).

وهذه الأفكار والاعتقادات ليست جديدة، فهي أفكار جاء بها بعض علماء
اليهودي من قبل وأولوا التوراة على أسس الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وقالت بها

١ - مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمن بدوي: ١٠/٢: بيروت: دار العلم للملايين:

١٩٧٣م.

٢ - فيلون فيلسوف يهودي، ولد بالإسكندرية عام ٢٠ أو ٣٠ ق.م ومات بعد ٥٤ من
القرن الأول الميلادي في زمن الحواريين وفي سنة ٤٠ بعد المسيح كان زعيماً لبعثة
يهودية أرسلت إلى جاليجولا، وكانت مهمة هذه البعثة التوقف عن ملاحقة الدين
اليهودي واليهود، وقد تعلم التوراة المترجمة إلى اليونانية، وكان شديد الاطلاع على
كتب الفلاسفة الكلاسيكية، كما كانت لديه معرفة كافية في الحساب وعلم الطبيعة،
ويعد من أشهر المؤلفين الذين كتبوا التوراة وشرحوها باليونانية. أنظر في ذلك:
تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم: ٢٤٧: بيروت: دار القلم.

٣ - مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمن بدوي: ١٠/٢-١٢: مرجع سابق.

أيضاً طائفة يهودية هي طائفة "القبالة" ^(١) والتي شوهت التوراة وصرفتها عن طريق التأويل وادعت الجمع بين التأويل الباطني وادعاء الكشف عن الغيب واسرار والحروف، وغير ذلك من التلفيق الواضح بين فلسفة الأغريق والأفلاطونية الحديثة ورواسب من عقائد الفرس ^(٢).

وكانت تعرف هذه الاتجاهات في مجتمعات الفلاسفة في اليونان والإسكندرية، وهي التي كانت تعرف بجمعيات أهل العرفان أو (الجمعيات الغنوصية) ^(٣).

لقد ركز اليهود على ناحية مهمة أرادوا بها إقحام العقائد المخالفة في عقول المسلمين، وعن طريق إيهام الناس بعلم على للغيب، وتجسد الله جل وعلا فيه، فوضعوا لهذه الغاية الأحاديث الموضوعة ^(٤).

ولم يكن مجيء عبد الله بن سبأ ^(٥) لعلي بن أبي طالب وقوله له "أنت، أنت" ^(٦) مجرد صدفة، ولكنها حلقة مدبرة من قبل اليهود في إحياء العقائد الوثنية،

-
- ١ - والكلمة مشتقة من (القبالة) وتطلق على التأويل الخفي للتوراة. انظر المعجم الفلسفي: جميل صليبا: ج ٢: بيروت: دار الكتاب اللبناني: ١٩٧١م.
 - ٢ - الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب: ص ٢١: عمان: مكتبة الأقصى: ط ٢: ١٩٨٦م.
 - ٣ - الغنوصية: مذهب تلفيقي يجمع بين الفلسفة والدين ويقوم على اساس فكرة الصدور ومزج المعارف الإنسانية بعضها ببعض، ويشتمل على طائفة من الآراء المضنون بها على غير أهلها، وفيه تلتقى الأفكار القبالية بالأفلاطونية الحديثة وبعض التعاليم الشرقية كالمزدكية والمانوية، وكان له أثره في التفكير الفلسفي في المسيحية والإسلام انظر في ذلك: المعجم الفلسفي: تصدير د. إبراهيم مذكور: مجمع اللغة العربية - القاهرة. بدون تاريخ: ص ٣٣.
 - ٤ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي سامي النشار: ص ٤٧: الإسكندرية: منشأة المعارف: ط ٢: ١٩٦٢م.
 - ٥ - يقول الاسفراييني (٤٧١هـ) ان ابن سبأ قال بنبوة علي في أول أمره، ثم دعا إلى ألوهيته، ودعا الخلق إلى ذلك فأجابته جماعة إلى ذلك في وقت علي "انظر التبصير في الدين" للاسفراييني: القاهرة: مكتبة نشر الثقافة الإسلامية: ١٩٤٠: وفي تفصيل أنظر "عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتن في صدر الإسلام" سليمان العودة: الرياض: دار طيبة ط ١: ١٩٨٥م.
 - ٦ - الملل والنحل: الشهرستاني: ص ١٧٤: طبعة: دار الفكر: بيروت: بدون تاريخ.

وجاء اتباعه بعد ذلك لعلّى رضى الله عنه ويقولون له: "أنت هو" فقال لهم: ومن هو؟ فقالوا: أنت الله، فنثار على وأمر مولاه قنبر بحرقهم فى النار^(١).

وكان تأويل ابن سبأ واتباعه لقوله تعالى "ان الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد" القصص/٨٥ وهو أول تأويل لمعانى القرآن الكريم، فوضع بذلك جذور المذهب الباطنى بما فيه من قول بالرجعة^(٢).

ونستطيع أن نقول أن الذين جاءوا بعد ابن سبأ ابتداء من المختار وانتهاء بأبى الخطاب كانوا يسировون على نفس الدرب الذى وضعه له لهم ابن سبأ فى تحريف وتأويل شرائع الإسلام، وليس مستغرباً بعد ذلك أن تسير فرق الباطنية على نفس هذه الطريقة.

وانتهى الأمر بمعتقدات الباطنية، ان الإنسان فى وسعه أن يدرك حقائق، أو أن يصل إلى معارف، عن طريق الحدس وعن طريق الوجد أو الذوق كما عند الصوفية مثلاً، واللغة كما تبدو لهم فى حدود الفاظها الظاهرة لايمكنها التعبير عن تلك الاحاسيس، فوجدوا فى التأويل ظاهراً غير مراد وباطناً مراداً يجب البحث عنه، فالاتجاه الباطنى عند أمثال هذه الفرق من الدوافع التى أدت إلى استعمال التأويل.

ولقد استغلت فرق الباطنية هذا المنهج التأويلى فى نشر وترويج مواقفها السياسية^٣ ثم أن الباطنية احتالت لتأويل احكام الشريعة على وجوه تؤدى إلى رفع الشريعة وإلى مثل احكام المجوس^(٤).

ونحاول الآن عرض بعض فرق الغلاة وموقفها من قضية التأويل حتى يتسنى لنا الوقوف على حقيقة هذا الاتجاه، وذلك من واقع الدراسة المباشرة لنصوص مصادرهم فى هذا الصدد، ونبدأ عرضنا بفرقة الإسماعيلية.

١ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل: ابن حزم: ج٤: ص١٨٦: طبعة دار المعرفة: بيروت: بدون تاريخ.

٢ - فرق الشيعة: النوبختى: ١٩-٢٠: تحقيق هـ: ريتز: نشر جمعية المستشرقين الألمانية: استنبول: ١٩٣١م.

٣ - الفرق بين الفرق: البغدادى: ص١٧٥: ط: دار الهلال: ١٩٢٤.

الفصل الرابع

الإسماعيلية والتأويل

دون الدخول في نشأة الإسماعيلية كفرقة من فرق الغلاة الباطنية، يكفي أن نلمح أن الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة، سميت بهذا الاسم نسبة إلى "إسماعيل بن جعفر الصادق" حينما أنقسمت الشيعة على نفسها بعد وفاة جعفر الصادق، إذ تبعت جماعة موسى الكاظم بن جعفر وسميت بالإمامية الاثنى عشرية، وصدقت أخرى ادعاءات اتباع إسماعيل وابنه محمد بحقهما في وراثة الإمامة عن جعفر، مع أن إسماعيل كان قد توفي قبل وفاة أبيه بخمس سنين سنة ١٤٣ هـ، وأراد جعفر أي يؤكد وفاة أبنه بأقوال شهود عديدين، فكتب محضراً بذلك واشهد عليه والي المدينة. (١)

ومنهم من قال موته صحيح، والنص لا يرجع قهقري، والفائدة في النص بقاء الإمامة في اولاد المنصوص عليه دون غيرهم، فالإمام بعد اسماعيل، محمد بن اسماعيل، وهؤلاء يقال لهم المباركية، ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم، وهم الباطنية، وإنما مذهب هذه الفرقة

١ - الملل والنحل: الشهرستاني: بتحقيق: عبدالعزيز محمد الوكيل: مرجع سابق: ص ١٦٧. وللمزيد حول النشأة التاريخية: الفصل لابن حزم ٥/٢، والفرق بين الفرق للبغدادي وفرق الشيعة للنوبختي ٦١، والإسماعيلية لإحسان الهي ظهير ص ٣١ ومابعداها، وبرنارد لويس في اصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية: ترجمة خليل أحمد خليل بيروت دار الحداثة ط ١٩٨٠ ص ٧١ ومابعداها، وطائفة الإسماعيلية لمحمد كامل حسين مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ وخطط المقريري ١٥٠/٢ ط دار أحياء العلوم، بيروت.

الوقف على إسماعيل بن جعفر، أو محمد بن إسماعيل والإسماعيلية المشهودة في
الفرق منهم الباطنية التعليمية. (١)

وأشهر القابهم: الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر
باطناً ولكل تنزيل تأويلاً. (٢)

وهم في سبيل برهان هذه الأقوال يزعمون أن النصوص الدينية والآيات
القرآنية، رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتوبة، وأن الطقوس
والشعائر بل والأحكام العملية هي رموز وإشارات وأسرار، وأن عامة الناس هم
الذين يقنعون بالظواهر والقشور، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة. (٣)

وقد كان الإسماعيلية يعتمدون في نشر العقائد وغيرها على تنظيم منظم
للدعوة يضم دعاة مهرة على مراتب متفاوتة، ولم تكن عقائدهم تلقن للمستجيب
دفعة واحدة، إنما كان يتلقاها على درجات كل واحدة منها مترتبة على السابقة،
ويتحكم لعدد سبعة أيضاً في هذه الدرجات، فقد كانت مراتب الدعوة في البداية
سبع درجات ثم زيدت إلى تسع، ربما لتطبق الأفلاك التسعة، وهي عبارة عن
السبعة السيارة، وفلك الثوابت والفلك الإجملي، وقد أورد الدرجات مفصلة النويري
(ت ٧٣٢هـ) في كتابه (نهاية الأرب) و (المقريزي ت ٨٤٥هـ) في كتابه
الخطط. (٤)

-
- ١ - الملل والنحل للشهرستاني: ص ١٦٨، مرجع سابق.
 - ٢ - الملل والنحل: الشهرستاني: ص ١٩٢، مرجع سابق.
 - ٣ - مذاهب الاسلاميين: د. عبد الرحمن بدوي: ٧/٢: مرجع سابق.
 - ٤ - دولة الإسماعيلية في إيران: د. محمد السعيد جمال الدين: ٢٥: القاهرة: مؤسسة سجل العرب: ١٧٥.

ويرى الدكتور بدوي أن الإسماعيلية من الناحية السياسية هي التي كونت الفاطمية في شكل دولة شملت المغرب ومصر والشام فترة تاريخية. (١)

وفيما يتعلق بمنهج الإسماعيلية في التأويل - وقد أفضنا في بيان ذلك من قبل - إلا أننا ونحن بصدد التعرض المباشر لنصوص الإسماعيلية من مؤلفاتهم الأصلية، يطالعنا في هذا الصدد رأي الباحث الإسماعيلي "عارف تامر في تحقيقه وتقديمه للمخطوطة الإسماعيلية "أساس التأويل" للداعي الإسماعيلي" النعمان بن حيون التميمي المغربي. (٢)

فيقول "عارف تامر": قد يكون من الواضح أن "التأويل" بمعناه الواقعي لدى الإسماعيليين يختلف عن "التفسير"، بمعناه الصحيح لدى عامة الفرق الإسلامية الأخرى، فالتفسير معناه جلاء المعنى لكل كلمة غامضة. أما التأويل فهو باطن المعنى أو رمزه، أو جوهره، وهه حقيقة متسترة وراء لفظة لاتدل عليها، ومن هنا أعطى النظام الإسماعيلي الفكري صلاحية التفسير (للناطق) ووهب صلاحية "التأويل" للإمام، فالأول اعتبر يمثل الشريعة والأحكام والفقه والقانون الظاهر، والثاني يمثل الحقيقة والتأويل والفلسفة والباطن. (٣)

ويصل بمؤرخ الفرقة الإسماعيلية إلى القول بأن التأويل من العلوم التي خص بها الإسماعيليون أئمتهم وسمو لأجله بالباطنية فقد جعلوا محمداً هو صاحب التنزيل للقرآن وجعلوا علياً صاحب التأويل، أي أن القرآن أنزل على

١ - مذاهب الإسلاميين: مرجع سابق: ٤٥١/٣.

٢ - وهو قاضي قضاة الدولة الفاطمية ت ٣٦٣هـ والنسخة المحققة لكتاب "أساس التأويل" من منشورات دار الثقافة ببيروت العدد ٢ من سلسلة المخطوطات العربية، تحقيق عارف تامر بدون تاريخ.

٣ - أساس التأويل: ص ٦-٧، المرجع السابق.

محمد بلفظه ومعناه الظاهر للناس، أما أسرارها التأويلية الباطنية فقد خص بها
علياً والأئمة من بعده. (١)

ونحاول الآن أن نعرض مباشرة لنصوص مؤلفاتهم لننتعرف على
مضامين خطابهم ومنهجهم التأويلي في فهم الاسلام وأصوله وأهدافه.

منهجهم في الاستدلال:

كما بينا من قبل اعتقادهم في ظاهر مذهبهم في التلقي والاستدلال، ثم
ما جاء وما ثبت عن الأئمة عندهم، ثم الاعتماد على قول امام العصر ومن ينوب
عنه.

وقد بين منهجهم في التلقي والاستدلال "القاضي النعمان" في كتابه
"أختلاف أصول المذاهب وقال" "وإنه ليس لنا ولا لغيرنا أن يحل شيئاً ولا يحرمه،
ولا يحكم فيه إلا بما جاء في نص الكتاب وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم
وما جاء عن الأئمة، فما علمناه من ذلك قلنا به، وما جهلناه سألنا عنه فمن أمر
الله بسؤاله والرد عليه، ولم نقل في ذلك برأي ولا اجتهاد ولا استحسان ولا قياس
ولا استدلال ولا نظر ولا بغير ذلك". (٢)

تلك خلاصة معتقدتهم في التلقي والاستدلال أوضحها "القاضي النعمان"
في هذه الأسطر، بعدما أنكر الإجماع والقياس والاستحسان والاستدلال والنظر
والاجتهاد، وعقد لكل منهما فصلاً مستقلاً.

وعندما ننظر في استدلالهم بالكتاب والسنة، وحتى أقوال أئمتهم نجدهم
يعتمدون على التأويل الباطني، ويعتقدون أن للنصوص ظاهراً وباطناً، وأن الباطن

١ - أساس التأويل: النعمان بن حيون: ص ٧، مرجع سابق.

٢ - أختلاف أصول المذاهب: القاضي النعماني/ ص ٢٢٧ تحقيق، د. مصطفى
غالب، دار الأندلس، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣ م.

في نظرهم هو اللب والاصل، وأما الظاهر فإن بمثابة القشور، وفي فصل بعنوان "جوامع من القول في تثبيت التأويل وباطن ماجاء في الحديث والتنزيل" يقول النعمان بن حيون: أنه لا بد لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ماتقع الحواس عليه، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه، وظاهره مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه. قال الله عز وجل من قائل: "ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون" الذاريات/٤٩. وقد ذكر الله سبحانه الباطن في مواضع كثيرة من كتبه فقال جل ثناؤه: "واسبغ عليكم نعمه ظاهره وباطنه" لقمان/٢٠. وإذ يقول الله عز وجل "وذروا ظاهر الإثم وباطنه" الأعراف/١٢٠ فمن لم يعرف باطن الإثم فيذره، اليس يخشى عليه من أن يقع فيه إذا جهله، وقال سبحانه وتعالى في التأويل "هل ينظرون إلى تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق" الأعراف/٥٣. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مانزلت على آية من القرآن إلا ولها ظهر وبطن" (١) وقد أجمعت الأمة على صحة هذا الخبر، وفساد تأويل من تأوله على غير الصواب فيه. (٢)

ثم زعموا أن ذلك العلم فني قد أختص الله به الأئمة من أهل البيت دون غيرهم (٣) ولهذا أوجبوا اتباع الأئمة وتقليدهم وغلوا أى الأئمة إلى درجة أنهم لا يرون الاستدلال بالقرآن مع وجود الامام وعللوا ذلك "بأنه ربما أن الله قد أودع القرآن شيئاً أو زاد فيه مالم يكن قبل ذلك، وعلمه عند الأئمة". (٤)

١ - أخرجه البغوي في "شرح السنة" ٢١٤/١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٧٦/١، حديث ٧٥ ورواه الطبري في تفسيره رقم ١١ ط شاكر، وكلها روايات ضعيفة.

٢ - أساس التأويل: ص ٢٩-٣٠، للنعمان بن حيون، مرجع سابق.

٣ - وقد عرضنا لنصوص من مصادرهم تؤكد ذلك.

٤ - اختلاف اصول المذاهب، ص ١٩٦، للقاضي النعماني، مرجع سابق.

وهذا يعني أن الوحي في اعتقادهم لازال ينزل على ائمتهم، وهذا كذب وافتراء على الله ورسوله، فالوحي من خصائص النبوة، والنبوة قد ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم: ماكان محمد أباً احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" الأحزاب/٤٠ وقال تعالى "ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله" الأنعام/٩٣.

وأما تأويلهم الباطني الذي هو المصدر الرئيسي للاستدلال عندهم، فهو تحريف وليس بتأويل لأنهم يصرفون اللفظ عن ظاهره إلى معنى بعيد كل البعد ظاهر النص. بدون دليل من الكتاب أو السنة أو ماصح من لغة العرب، ويلاحظ المطلع على كتبهم وخصوصاً الباطنية السرية والكتب التي يقررون فيها عقائدهم^(١) أنهم لا يستدلون بالقرآن الكريم والسنة إلا نادراً، مع التزامهم بالتأويل الباطني لما يستشهدون به. وزعموا أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم له دعوتان دعوة ظاهرة لظاهر شريعته، ودعوة باطنة لتأويل شرعه. ^(٢)

فالقرآن والسنة وجميع أمور الدين من الاصول والفروع، والأوامر والنواهي والأخبار لها ظاهر وباطن كما يزعمون، ولايعلم باطنها إلا الأئمة والدعاة منهم.

١ - يقول احسان الهي ظهير في كتابه عن "الإسماعيلية" تاريخ وعقائد: أن الاسماعيلية لا يظهرون عقائدهم إلا في الكتب السرية التي يحرم الاطلاع على مافيهما إلا للخاصة وخاصة الخاصة أو لمن يأذن له الإمام الإسماعيلي المعصوم، أو من ينوب عنه ويقوم مقامه، وأما كتب الظاهر فيكتبونها للعامة أي عامة الإسماعيلية وغير الإسماعيلية: أنظر في ذلك: المرجع السابق: ص ٢٠، نشر إدارة ترجمان السنة - لاهور باكستان، ط١، ١٩٨٦م.

٢ - أسعاف الطالب: على سليمان، ص١٧٣، ١٣٩٦هـ، بدون بيانات نشر.

ثم قال بنظرية المثل والممثل تأثراً بأفلاطون، لأنها تدعم معتقدتهم في الظاهر والباطن، ومن أقوالهم في ذلك: "إن الظاهر مثل والباطن ممثل، وظاهر القرآن مثل وباطنه ممثل".^(١)

ثم لووا أعناق النصوص الشرعية لكي يوفقوا بينها وبين الفلسفة اليونانية، فاستدلوا على نظرية المثل والممثل بقوله تعالى: "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون" العنكبوت/٤٣.

فالصراط المستقيم في قوله تعالى "أهدنا الصراط المستقيم" الفاتحة/٦. هو الامام - في زعمهم - وهو ممثل والصراط مثل.^(٢)

واعتقدوا أن "الرسول صلى الله عليه وسلم اختص بالتنزيل الذي هو ظاهر الشريعة واختص على رضى الله عنه بالتأويل الذي هو باطن الشريعة، ثم تلقاه من بعده أبنائه ثم الأئمة والدعاة".^(٣)

وظاهر القرآن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، وباطنه معجزة الأئمة من أهل البيت لا يوجد غلا عندهم، ولا يستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب غير محمد صلى الله عليه وسلم ولا أن يأتي بباطنه غير الأئمة من ذريته وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم".^(٤)

ونحاول الآن عرض نماذج من تأويلاتهم الباطنية في فهم الاسلام.

-
- ١ - المرجع السابق/ ٧٨.
 - ٢ - أساس التأويل: للنعمان بن حيون: ص ٦١، مرجع سابق.
 - ٣ - تأويل الدعائم: النعمان، ١/٦١، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، دار المنتظر: بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ، وتاج العقائد، ابن الوليد، ١١٣ تحقيق عارف تامر، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط ٢، وأسعاف الطالب، على بن سليمان، ٣ مرجع سابق.
 - ٤ - أساس التأويل: النعمان بن حيون: ص ٣٠-٣١، مرجع سابق.

أولاً: تأويل الاسماعيلية لأركان الاسلام:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هي الركن الأول من أركان الاسلام، كما وضح ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: عن عمر رضى الله عنه قال: "بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد أخبرني عن الاسلام، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" قال: صدقت" ^(١) أما الاسماعيلية فلا يعدون الشهادة عن اركان الاسلام اصلاً: "وأركان الاسلام عندهم سبعة، وهي الولاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد". ^(٢)

ثم أولوا الشهادة تأويلات باطلة، محاولين الجمع بين عقائدهم والعقائد الاسلامية والنصوص الشرعية، فقالوا، "إن الشهادة لا إله إلا الله تتكون من فصلين:

الأول: النفي وهو (لا إله).

الثاني: الإثبات وهو (إلا الله).

وكل فصل يتكون من كلمتين، الثانية منهما أعلى وأفضل من الأولى، وكذلك الفصل الثاني الذي هو إثبات أفضل وأعلى من الفصل الأول.

١ - رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والاسلام والإحسان، ط ١، ص ٣٨، حديث رقم ٨، ط دار الحديث، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، القاهرة ١٤١٢ هـ.

٢ - دعائم الاسلام: القاضي النعمان، تحقيق عارف تامر، ٣٨/١.

والفصل الثاني في الباطن هو الحدود العلوية ^(١) والفصل الأول في الباطن هو الحدود السفلية. ^(٢)

والفصل الثاني الذي يعني في الباطن الحدود العلوية، ينقسم إلى كلمتين فلفظ الجلالة يعني في الباطن السابق و(إلا) تعني في الباطن التالي. والسابق والتالي حدان علويان ويطلق عليهما العقل الأول والثاني.

والفصل الأول الذي يعني الحدود السفلية، يتكون من كلمتين وهما (لا) و(إله) فالإله تعني في الباطن الناطق. و(لا) تعني الأساس.

والناطق والأساس جدان سفليان وهما الرسول والوصي. والقسم الأخير من الشهادة و"محمد رسول الله" زعموا في تأويلها أنها تتكون من ثلاث كلمات، وهي تعني في الباطن الثلاثة الحدود الروحانيين العلويين الفرعيين، وهم: إسرافيل وميكائيل وجبريل، الذين هم العقول الثلاثة التي تلي السابق والتالي.

وتعني أيضاً في الباطن، الثلاثة حدود الجسمانيين الارضيين بعد الناطق والأساس، وهم: الامام والحجة واللاحق.

وهي أيضاً تتكون من ستة فصول مثل في الباطن للنطق الستة مثل في الباطن للنطق الستة أولى العزم، وهي كذلك اثنا عشر حرفاً مثل في الباطن على اللواحق الإثني عشر ^(٣)

هذا هو تأويلهم الباطني لمعنى الشهادة باختصار شديد، وهي تأويلات تتنافى جملة وتفصيلاً مع مبادئ العقيدة الإسلامية، وبدهيّات الدين الإسلامي.

-
- ١ - يقصدون بها العقول العشرة.
 - ٢ - الرسول والوصي والأئمة من بعدهما.
 - ٣ - أنظر: الينابيع: السجستاني، ١٤٢ مرجع سابق، أساس التأويل: الذعمان، ٣٨-٤٩ مرجع سابق.

ثانياً: تأويلهم للصلاة:

يؤولون الصلاة تأويلاً باطنياً، ويزعمون أنها الدعوة الإسماعيلية، ويسمون بها دعوة الحق أو الدعوة الهادية. ^(١)

وقالوا "إن الخمس صلوات في الليل والنهار في كل يوم وليلة مثلها في الباطن مثل الخمس الدعوات لأولي العزم من الرسل - عليهم السلام - الذين صبروا على ما أمروا به ودعوا إليه - فلما كانت الصلاة، مثلاً لدعوة الحق، جعلت الصلاة في كل يوم وليلة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم خمس صلوات، كل صلاة منها مثل لدعوة كل واحد من أولي العزم، فصلاة الظهر وهي الصلاة الأولى مثل لدعوة نوح عليه السلام، وهي الدعوة الأولى وهو أول أولي العزم من الرسل عليهم السلام.

والعصر مثل لدعوة إبراهيم عليه السلام وهو ثاني أولي العزم، وهي الصلاة الثانية.

والمغرب وهي الصلاة الثالثة مثل لدعوة عيسى عليه السلام، وهي الدعوة الرابعة، وهو الرابع من أولي العزم وهي الصلاة الرابعة.

والفجر وهي الصلاة الخامسة مثل لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهي الدعوة الخامسة، وهو خامس أولي العزم". ^(٢)

وتابع الدعاة الإسماعيليون أسلافهم في التأويلات الباطنية لأركان الإسلام وقالوا: "إن الصلاة في الباطن: إقامة الدعوة" ^(٣). "أو هي مثل على دعوة الهداة". ^(٤)

-
- ١ - أنظر: تأويل الدعائم، للنعمان، ١/١٧٦-١٧٧.
 - ٢ - تأويل الدعائم، النعمان، ١/١٧٩، مرجع سابق.
 - ٣ - مفاتيح البراهين، ٢٣، لعلي بن سليمان الهندي، (مخطوط) بدون.
 - ٤ - حياة الأحرار، ٢٩، لعلي بن سليمان الهندي، (مخطوط) بدون.

وقال الداعي ابن هبة الله في قوله تعالى: "قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة" إبراهيم/٣١ "يعني الدعوة الظاهرة في الجزائر لتكتمل الحجة بفتح باب الهداية.." (١)

وقال في قوله تعالى: "أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل" الأسراء/٧٨. "يعني أدع إلى العين الذي به اتصالك "لدلوك الشمس" يعني وقت استقامة أمرك، ولوضع الناموس أقامك (إلى غسق الليل) يعني إلى حين ارتفاع وليك لخلافة العاشر.." (٢) ثم يؤول القاضي النعمان صفة الصلاة فيقول: "النية مثلها في الباطن الولايين التي لايجزي ولايقبل إلا بعد اعتقادهما، كما لايجزي كذلك عمل ولايقبل غلا باعتقاد نية.." (٣)

وقال حدود الصلاة سبعة: أولها، الإحرام، ومثلها الدخول في دعوة الحق، ويحرم مع ذلك على المستجيب المفاتحة بما سمع من البيان ويسمعه إلى أن يحل من احرامه، ويسلم من صلاته وتطلق له المفاتحة. والحد الثاني، القيام مستقبل القبلة، ومثل ذلك القيام المستجيب بما يؤمر به من دعوة الحق وإقباله على إمام زمانه.

والحد الثالث، القراءة، ومثلها مثل طلب العلم واستماعه.

والحد الرابع، الركوع، ومثله مثل معرفة الحجة وطاعته.

والحد الخامس، السجود، ومثله مثل معرفة امام الزمان وطاعته.

والحد السادس، التشهد، ومثله مثل السعي والرغبة في فكاك الرقة.

-
- ١ - مزاج التسليم، ابن هبة الله، ص ١٠٠، اسماعيل بن هبة الله بن إبراهيم، تحقيق، شتروتمان، المجمع العلمي، جوتنبرج، المانيا، بدون تاريخ.
 - ٢ - المرجع السابق، ص ١٥٣.
 - ٣ - تأويل الدعائم، النعمان، ٢٥٩/١.

والحد السابع، التسليم ومثله مثل إطلاق المحرم وهو حد البلوغ".^(١)
ويظهر في هذا التأويل التناقض لكون القيام قبل تكبيرة الاحرام فكيف
يقوم المستجيب بالامتثال لاوامر اهل دعوة الحق، وإقباله على إمام زمانه، وهو
لم يدخل اصلاً في الدعوة باعتبار الدخول مثل الاحرام؟
ثم يؤول ايضاً عدد الركعات في كل فريضة فيقول: "فمثل الظهر وهي
الصلاة الأولى مثل محمد صلى الله عليه وسلم .. فمثل عدد ركعاتها الأربع مثل
عدد حروف اسمه صلى الله عليه وسلم.
والعصر أربع ركعات ومثلها آخر الأئمة صاحب القيامة - محمد بن
إسماعيل - وكذلك عدة حروف اسمه أربعة أحرف.
ثم صلاة المغرب وهي ثلاث ركعات مثلها مثل آدم عليه السلام وعدد
ركعاتها كعدد حروف اسمه.
ومثل صلاة العشاء الأخيرة مثل النقباء الأربعة الذين هم أكابر النقباء
الإثني عشر كأعداد ركوعها.

ثم ركعتا الفجر مثلها مثل الأمام والحجة في حالة الستر".^(٢)

ثالثاً: تأويلهم للزكاة:

قال القاضي النعمان: "الزكاة في الظاهر أخراج مايجب على الأغنياء في
أموالهم، ودفعه إلى الأئمة الذين تعبد الله الناس بدفع ذلك إليهم، وتعبدهم بصرفها
في الوجوه التي أمرهم الله بصرفها فيها. وأما في الباطن فإن مثلها مثل الأسس
والحجج الذين يظهرون الناس ويصلحون أحوالهم وينقلونهم في درجات الفضل
بما ترضيه أعمالهم.

١ - تأويل الدعائم، النعمان، ٢٧٥/١، مرجع سابق.

٢ - المرجع السابق، ١٨٤-١٨٥.

فيكون على هذا قوله: لاصلاة إلا بركة. يعني أنه لا تقوم الدعوة إلا بمعرفة الاسس الذين هم أوصياء النبيين، والحجج الذين هم أوصياء الائمة، وجملة القول في إيتاء الزكاة.. الاتصال بأولياء الله ومن أقاموه بصالح الاعمال لنيل الطهارة بذلك منهم والبلوغ إلى مبلغ الصالحين وأهل العدالة من أوليائهم".^(١) ويؤلون المال في الباطن بالعلم".^(٢)

"ومثل الذهب في الباطن مثل علم الباطن والفضة مثلها مثل علم الأسس الذين هم أوصياء الأنبياء والحجج، والنحاس مثله مثل علم أكابر الدعاة أصحاب الجزائر والنقباء".^(٣)

ومقدار الزكاة في المعادن ربع العشر، ولذلك قالوا إن زكاة الذهب: بقدر ذلك - ربع العشر - يجب على الناطق الذي هو الرسول أن يعطي الأساس الذي هو وصية من علمه في حياتهن فإذا حضرته الوفاة انتقل علمه كله إليه وقام في أمته مقامه".^(٤)

"وأما الزكاة فهي مثل على علوم أولياء الله الهداة الزكاة، وزكاة العلم العمل به وإقامة الحدود من كل حد".^(٥)

رابعاً: تأويلهم للصيام:

قال النعمان "فالصوم في الظاهر المتعارف عند عامة الناس الإمساك عن الطعام والشراب والجماع ومايجرى مجرى ذلك.. وتأويله الذي هو الصوم الباطن كتمان علم باطن الشريعة عن أهل الظاهر والإمساك عن المفاتحة به".^(٦)

١ - تأويل الدعائم: النعمان، ٨٧/٢-٨٩، مرجع سابق.

٢ - نفسه، ٩١/٢.

٣ - نفسه، ١٠١/٢.

٤ - نفسه، ١٠١/٢.

٥ - حياة الاحرار: ٢٩، مخطوط سابق.

٦ - تأويل الدعائم: ١٠٧/٣-١٠٨، مرجع سابق.

وقال الداعي السليمان صاحب "حياة الأحرار" "وأما الصوم فهو الإمساك
والسكوت عن إفشاء أسرار أولياء الله سادات كل قوم".^(١)

وقال في كتاب إسعاف الطالب: "إن الفطر ظهور السراير وعلوم الغيب،
وإظهار الأمر الذي كان مستوراً".^(٢)

خامساً: تأويلهم للحج:

قال القاضي النعمان: "مظاهر الحج الإيتان إلى البيت العتيق بمكة لقضاء
المناسك عنده، وتأويل ذلك الذي جعل الظاهر دليلاً عليه، إتيان إمام الزمان من
كان من نبي وإمام، ومثل الإمام في الباطن مثل البيت الحرام".^(٣)

وقال جعفر اليمن: "الحج حجان حج ظاهر، وحج باطن، وأما الظاهر
فهو المعروف من الخروج إلى مكة، والباطن من الحج على وجهين أحدهما،
الهجرة من وطنك إلى وطن الرسول في عصره، أو إلى وطن الإمام في عصره،
مع معرفة صاحبها وإلى من هاجرت بحقيقة فضله ومقامه حتى يسعد حجك
ويشكر عملك - والوجه الثاني في الباطن فهو معرفة الامام صلوات الله عليه
في كل عصر وزمانه".^(٤)

ثم أولوا جميع مناسك الحج تأويلات باطنية تخدم معتقدهم وتدور حول
الإمامة والأئمة وطاعتهم، ومن تلك التأويلات على سبيل المثال ما جاء من
الداعي السليمان صاحب حياة الأحرار في تأويله لمناسك الحج، فزعم "أن بنر
زمزم تدل على الداعي، وماؤها علمه المكنوم، والطواف: مثل على : الالتزام

١ - حياة الأحرار: ٢٩، مخطوط سابق.

٢ - إسعاف الطالب في جمع المطالب: على بن سليمان، ١٧٧-١٧٨، مرجع سابق.

٣ - تأويل الدعائم: ١٤٣/٣، مرجع سابق.

٤ - الكشف: ١١٠-١١٣: جعفر بن منصور اليمن: تحقيق د. مصطفى غالب:
بيروت: دار الأندلس: ط ١، ١٤٠٤هـ.

بإمام الزمان، والسبعة أشواط، مثل الإقرار بطاعة الآئمة من ذرية أمير المؤمنين، ومنى تدل على الداعي المبلغ، وفي منى يكون النحر والذبح، وعند الداعي الخروج من الشبهات والشكوك، لأنه صاحب النفخ، لأن الدم وغيره مثل الشكوك التي تكون في المستجيب في أوليائه وداعيه. والمشعر الحرام: مثل على باب الامام، وحلق الرأس: مثل على إظهار أمر إمام الناس، والرأس: مثل الرئيس ورمي الجمرات مثل على كسر الأضداد الكبار عند قيام المنتظر. والحجار: الحجج والبراهين، والحجار ثلاث: صغرى، ووسطى، وكبرى. مثل الأضداد الثلاثة يغوث ويعوق ونسرا... الخ".^(١)

ومما يدل على تعويلهم على بواطن في معاني الحج وترك معاني الحج الظاهرة والتقليل منها قولهم: "إن للحج معاني خفية إذا لم ينتبه لها الحاج فقد حج الجمل الحامل لجسده أو السفينة المؤدية إليه دونه".^(٢)

ثانياً: تاويلهم للآيات القرآنية:

بيننا فيما سبق أن التأويل الباطني ركيزة أساسية يقوم المذهب الباطني الاسماعيلي، ونحاول الآن أن نعرض لنماذج من تأويلاتهم الباطنية للآيات القرآنية.

قال الداعي أبن هبة الله في مزلاج التسليم عند قوله تعالى: "وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير" الشورى/٣١. (وما لكم من دون الله يعني العين)^(٣) من ولي ولا نصير^(٤)

-
- ١ - حياة الأحرار: ٢٨-٢٩، مخطوط سابق.
 - ٢ - تاج العقائد ومعدن الفوائد: ابن الوليد: ١٤٢، مرجع سابق. وكذلك تأويل الدعائم للنعمان، ١٤٢/٣ وما بعدها وأساس التأويل للنعمان ١١٦-١١٧.
 - ٣ - المراد بالعين : على عليه السلام.
 - ٤ - مزاج التسليم: إسماعيل بن هبة الله: ١١، مرجع سابق.

وفي قوله تعالى: "وياقوم هذه ناقة الله" هود/٦٤ قال "يعني حجاب ذلك الإمام" (١)

وفي قوله تعالى: "وأمرأته قائمة فضحكت" هود/٧١ قال "يعني حجبته" (٢)
وفي قوله تعالى: "فتأكل الطير من رأسه" يوسف/٤١ قال "يعني الحدود الذين هم أهل دائرته". (٣)

وقال الداعي الإسماعيلي صاحب "حياة الأحرار" في قوله تعالى: "والليل إذا يغشى" الليل/١: "الليل يعني الوصى". (٤)

وفي قوله تعالى: "فالحاملات وقرا" الذاريات/٢ قال: صحيح الأئمة الذين يحملون العلم والحكمة.

وفي قوله تعالى: "فالجاريات يسرا" الذاريات/٣ قال: هم الدعاة لا الحجج وأنتمهم وفي قوله تعالى: "فالمقسمات أمرا" الذاريات/٤. قال هم: اللواحق والحجج" (٥)

وفي تأويله لسورة الفجر زعم (أن الفجر هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم والليالي العشر هم المؤمنون حيدرهم وفاطمة والحسن والحسين وزين العابدين والباقر والصادق وإسماعيل والسابع الأجد" (٦) والمهدي القائم" (٧)

١ - نفسه: ٤٨.

٢ - نفسه: ٥٠.

٣ - نفسه: ٦٧.

٤ - حياة الأحرار: ٩.

٥ - حياة الأحرار: ١٦، مخطوط سابق.

٦ - السابع هو محمد بن اسماعيل.

٧ - حياة الأحرار: ٦، مخطوط سابق.

وزعموا أن المراد بالنبا العظيم والمقام الكريم، والنجم الثاقب، والعذاب
الواصب على بن أبي طالب". (١)

والملاحظ في هذا المنهج التأويلي، أن كل المؤلفات الخاصة بالاسماعيلية
تدور حول موضوع واحد، وهو الامامة والأئمة والدعاة فقط، أو لنقل ان
موضوع الامامة يمثل جوهر الطرح الباطني التأويلي عندهم وقد أولوا القرآن
الكريم كاملاً، ولووا أعناق النصوص وصرفوها في سبيل خدمة هذه القضية.
وكان الله سبحانه وتعالى ما أنزل الكتب ولا أرسل الرسل - عليهم السلام
- ولا خلق البشر إلا من أجل الإيمان بالإمامة والاعتراف بالأئمة الإسماعيلية
ولعل من الأسباب التي ألجأتهم إلى التأويل الباطني، عقيدتهم في الإمامة عندما
جعلوها الركن الأول من أركان الإيمان، ثم لم يجدوا في ظاهر القرآن أو السنة
ما يدل عليها دلالة صريحة وقاطعة، فلجأوا إلى التأويل الباطني لتأكيد وتبرير هذا
الهدف.

ثالثاً: تأويلهم للأحاديث الشريفة:

السنة المطهرة هي المصدر الثاني من مصادر التلقي والتشريع في
الإسلام بعد القرآن الكريم، ولم تحظ بأي اهتمام عند الإسماعيلية.
ولانجذب لهم اهتماماً بها كما عند أهل السنة والجماعة، من حيث
الموضوعات والمسائل التي تشكل مدار اهتمامات المحدثين وأصحاب مصطلح
الحديث، كدراسة السند، والرواية وأحوالهم، والجرح والتعديل وتدوين الأحاديث
ودراسة المتن، والتمييز بين الأحاديث من حيث كون الحديث ثابتاً عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أو موضوعاً، أو متواتراً أو أحاداً، أو صحيحاً أو حسناً
أو ضعيفاً، وغير ذلك من الأمور التي تشغل علماء الحديث.

١ - أنظر: صحيفة الصلاة: سيد نصر الله، ١٩٣، ٢٦٨، حيدرآباد، الهند،
١٣٩٠هـ.

ولم نجد اهتماماً أصلاً بالأحاديث ويغلب على مناهج أنمتهم ودعاتهم المنهجية التأويلية البحتة، إلا ما جاء عن القاضي النعمان في كتابه دعائم الاسلام ولعله ألفه وهو قريب عهد بالمذهب المالكي، لأنه كما قيل من المالكية ^(١) فاغراه حكام الدولة العبيدية بالانضمام إلى مذهبهم فاعتنق دعوتهم حتى أصبح قاضي قضائهم.

ثم لجأ إلى تأويل كتابه دعائم الاسلام تأويلاً باطنياً، وسماه تأويل الدعائم. وكل تأويلاتهم الباطنية للأحاديث تنحو منحى تأويلاتهم للقرآن، فهي تدور حول مسألة واحدة وهي الإمامة والأئمة، ونحاول أن نعرض لبعض تأويلاتهم للأحاديث.

أوردوا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة" ^(٢) ثم زعموا أن المراد بالتسعة والتسعين اسماً من الباطن الأئمة، فإن عددهم تسعة وتسعين. ^(٣)

وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته" ^(٤) أي صوموا لرؤية الهلال وأفطروا لرؤيته، زعموا "أن المراد بذلك الحديث في الباطن، لا تتكلموا إلا عند ظهور ناطق الدور أو إمامه". ^(٥)

١ - قال الذهبي: "كان مالكيّاً، فارتد إلى مذهب الباطنية، وصنف له أسس الدعوة، ونبذ الدين وراء ظهره، والفت في المناقب والمثالب، ورد على أئمة الدين، وانسلخ من الاسلام، وناقق الدولة لابل وافقهم، وله يد طولي في فنون العلوم والفقه والاختلاف، ونفس طويل في البحث، فكان علمه وبالا عليه". سير اعلام النبلاء: للذهبي، ١٥٠/١٦.

٢ - أخرجه البخاري: ٤٤٤/٥، كتاب، الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والتثنية في الإقرار، ج (٢٧٣٦) وأخرجه مسلم: ٨/١٧ كتاب الذكر والدعاء ج ٦٧٥١.

٣ - كنز الولد: الحامدي، ٢٠٥.

٤ - أخرجه البخاري: ١٥٠/٤، كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، ح ٢٥١١.

وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الصلوات الخمس كفارة لما بينهن ما أجتنبت الكبائر" ^(١) والحديث واضح المعنى أي الصلوات الخمس المكتوبة المعروفة ذات الركوع والسجود المفتحة بالتكبير والمختتمة بالتسليم، قالو "إن باطن ذلك أن الخمس دعوات التي هي دعوات أولى العزم من الرسل وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام - ومحمد صلى الله عليه وسلم كفارة لمن تمسك بها من أهل الشرائع المنسوبين إليها .. ماأجتنبوا كبائر مأنهوا عنه". ^(٢)

وفي الحديث "الخیل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة" ^(٣) والقاضي النعمان فقد زعم "أن الخيل في الباطن هم - النقباء" ^(٤) ومثل الخير المعقود في نواصيها، ما عقد على النقباء من إقامة ظاهر الدين". ^(٥)

وفي حديث "يد الله مع الجماعة" ^(٦) زعموا "أن يد الله في الباطن هم الأئمة ولا تكون جماعة على الحق إلا بهم ولا تنسب إلا إليهم". ^(٧)

-
- ٥ - الكشف: جعفر بن منصور اليمن: ٣٥: مرجع سابق.
 - ١ - أخرجه الإمام مسلم: ١١١/٣، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس، ح ٥٥١، ٥٥٠، ٥٤٩.
 - ٢ - تأويل الدعائم: النعمان: ١٩٣/١، مرجع سابق.
 - ٣ - أخرجه مسلم: ٧١/٧، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، ح ٢٢٨٩. وأخرجه ابن ماجة ٣/٣٥٥، كتاب الجهاد، باب ارتباط الخيل في سبيل الله ح ٢٧٨٧، ٢٧٨٨.
 - ٤ - النقباء هم من الدعاة ومرتبة من مراتب الدعاة.
 - ٥ - تأويل الدعائم: ٢٨١/٤، مرجع سابق.
 - ٦ - أخرجه النسائي: ١٠٧/٧، كتاب التحريم، ح ٤٠٣٢.
 - ٧ - الكشف: جعفر بن منصور اليمن، ٣٥، مرجع سابق.

وإذا استعرضنا جل مصادر الفكر الإسماعيلي لوجدناها تتحو هذا المنحنى الباطن في التأويل والآن نحن مع فرقة باطنية أخرى استخدمت نفس المنهج في التأويل الباطني، من خلال عشرات المصادر - أيضاً - وخاصة في مجال تفسير الآيات القرآنية ومعاني الاسلام، ألا وهي فرقة الشيعة الإثنى عشرية، وهي أحد فرق غلاة الشيعة، ولها أنتشار كبير في الواقع المعاصر.

الفصل الخامس

الشيعة الإثنى عشرية والتأويل

بدأ التشيع الغالي بالفرقة الثالثة التي يذكرها "المقدسي" من بين الفرق وقال عنها وفرقة تغلوا غلواً شديداً وتقول قولاً عظيماً وهم أصحاب عبدالله ابن سبأ يقال لهم السبئية. (١)

ومنذ بزوغ السبئية صار واضحاً أن التشيع بدأ بخطوة جديدة وبطرق باباً جديداً وغريباً عليه وهو باب الغلو.

وقد ظهرت فكرة الدعوة لعلي بسيطة، ونرى بعد هذا العصر أن الفكرة تطورت، ثم يتحدث عن نشوء فكرة الوصية التي أحدثها ابن سبأ. (٢)

ويذكر برناردلويس أن هناك ظروفأ جديدة قد نشأت وانتقلت حركة الشيعة إلى طور آخر يختلف عن طورها السابق كل الاختلاف، فكان لازماً أن يؤدي انضمام عدد كبير ممن لم يصح اسلامهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم من الفرس والأرمن والسوريين وغيرهم إلى تغيير جوهرى من حيث العقائد والأغراض. (٣)

وهكذا تحول التشيع من وجهته الأولى وانقسم إلى فرق عدة واساس الاختلاف بينها شئان:

-
- ١ - المقدسي: البدء والتاريخ: د، ص ١٢٥، اعتنى بنشره "كلمان هوار" ط ١٨١٦ نسخة من ستة أجزاء، بدار الكتب برقم ٢٣٢٦٩ رمز ح بدون ناشر، وقد سبق الحديث عن السبئية.
 - ٢ - فجر الإسلام: أحمد أمين، ٢٦٦-٢٦٧، القاهرة، طبع، مكتبة النهضة المصرية، ط ١٢، ١٩٧٨ م.
 - ٣ - أصول الإسماعيلية، برناردلويس، ص ٥٩، مرجع سابق.

١. اختلاف في المبادئ والتعاليم فمنهم المغالى المتطرف في التشيع الذي يسبغ على الأئمة نوعاً من التقديس ومنهم المعتدل الذي يرى أحقية الأئمة في اعتدال.

٢. الاختلاف في تعيين الأئمة فقد أعقب علي وأبناؤه كثيرين واختلف الشيعة فيما بينهم على الأئمة من ذرية علي فمنهم من يقول هذا ومنهم من يقول ذاك - فكان ذلك أيضاً من أسباب الاختلاف. (١)

ويتحدث "فلهوزن" عن مرحلة الغلو قائلاً:

"وفرة متطرفة لها مذهبها الخاص في العقائد، وهو مذهب غريب تماماً عن الاسلام الأول"، ويرى أن الشيعة الغلاة سموا بأسماء مختلفة ولكن البداية كانت من هذه الفرقة التي سميت بالسبئية". (١)

وبذلك يكون التشيع المعتدل قد سار خطوات حتى تفرع عنه الغلو فساروا في طريقين مختلفين وكان بينهما تشابك واتصال فحدث اختلاط في الآراء سبب خليطاً من العقائد والنظريات وتأثر بعض المعتدلين بالغلاة.

وهذا هو ما اكتشفه الدكتور النشار بعد بحثه في التشيع إذ يقول: "ولقد تبينت لي ظاهرة لاتخلف فيها في كل عصور التشيع وهي ظهور نظرية معتدلة مقتصدة ونظرية غالية مسرفة ثم يعقب كلا من هذه نظرية تأخذ عناصر من هذه وعناصر من تلك". (٢)

١ - أحمد أمين: ضحى الاسلام، ج٣، ص٢١٠، ط٩، ١٩٧٨، القاهرة، النهضة المصرية.

٢ - تاريخ الدولة العربية عن ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة وتعليق د. محمد عبد الهادي بوريدة، مراجعة د. حسين مؤنس، سلسلة الألف كتاب، ص٤٧٥، نشر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٦٨م.

٣ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، د. علي سامي النشار، ج٢، مقدمة الطبعة الثانية، ط٤، ١٩٦٩م، القاهرة، دار المعارف.

ودون الدخول في تفاصيل النشأة التاريخية، نحاول ان نقف عند محاور رئيسية، في خطابهم المذهبي وخاصة فيما يتعلق بمسألة التأويل الباطني، ولعل من أوضح القضايا التي تبرز منهج الشيعة الإثنى عشرية في ذلك اعتقادهم بأن: للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر: وهذه المسألة قد أخذت بعداً كبيراً وخطيراً عند الشيعة، حيث تحول كتاب الله عندهم بتأثير هذا المعتقد إلى كتاب آخر غير مافي أيدينا. وقد ذهب رموز التشيع الإثنى عشري - تحديداً - في تطبيق هذا المبدأ شوطاً بعيداً، وقدم الشيعة مئات الروايات، والتي تؤول آيات الله على غير تأويلها، ونسبوها للأئمة الإثنى عشر، وليس لهذا التأويل الباطني من ضابط، ولاله قاعدة يعتمد عليها.

فأركان الدين تفسر بالأئمة، وآيات الشرك والكفر تؤول بالشرك بولاية علي وإمامته، وآيات الحلال والحرام تفسر بالأئمة واعدائهم، وهكذا يخرج الباحث في هذه التأويلات بمفاهيم ومبادئ تخالف ما أجمعت عليه رموز العقل المسلم في تاريخنا الفكري في اطار الوسطية والاعتدال المنهجي وماتوصلوا عليه وفق هذا المنهاج الباطني: ركنان أساسيان هما: الإيمان بإمامة الإثنى عشر والكفر واللعن لاعدائهم.

جاء في "أصول الكافي" للكليني مانصه: "... عن محمد بن منصور قال: سألت عبداً صالحاً (١) عن قول الله عز وجل: "قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن" الأعراف/٣٣. قال فقال: إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق". (١)

١ - أصول الكافي: الكليني: ٣٧٤/١، "محمد بن يعقوب الكليني"، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، ط٣، ١٣٨٨هـ.

تقرر هذه الرواية الواردة في اصولهم المذهبية مبدأ أن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر مخالفة تامة، ويضربون لذلك مثلاً بما أحل الله وحرم في كتابه من الخبائث ومن الطيبات، وأن المقصود بذلك الإشارة إلى الأئمة الإثنى عشر وأعداؤهم وهم كل خلفاء المسلمين، وهذا التأويل لأصل له من لغة أو عقل أو دين.

وبما أنه لم يكن لأصل مذهبهم، وهو "الأمامة" والأئمة ذكر في كتاب الله تعالى، قالوا بهذه المقالة لإقناع أتباعهم وللترويج لما يعتقدون، وحتى يجعلوا لهذه المقالة القبول اسندوها كعادتهم، لبعض آل البيت.

ومسألة القول بأن لنصوص القرآن باطناً يخالف ظاهرها شاعت في كتب القوم واصبحت أصلاً من اصولهم، لأنه لابقاء لمذهبهم غلا بها أو مافي حكمها. ففي "البرهان في تفسير القرآن" للكتكاني، عقد باباً بعنوان "باب في أن القرآن له ظهر وبطن".^(١)

وقد قررت كثير من كتب التفسير عندهم في مقدماتها هذه المسألة كأصل من اصولهم كتفسير القمي والعياشي والصافي.^(٢)
ومن نصوصهم في هذه المسألة: "أن للقرآن ظهراً وبطناً بطن إلى سبعة أبطن".^(٣)

١ - البرهان في تفسير القرآن: هاشم بن سليمان البحراني: الكتكاني: ط ٢: طهران، ج ١.

٢ - تفسير القمي: ١/١٤، ١٦ تصحيح وتعليق: طيب الموسوي، ط ٢، بيروت، ٨٧
تفسير العياشي، ١/١١، تصحيح وتعليق، هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية، تفسير الصافي، ١/٢٩، للفيض الكاشاني، تصحيح، حسين الأعلمي مؤسسة الاعلم بيروت.

٣ - تفسير الصافي: ١/٣١، مهجور سابق.

وعن جابر الجعفي قال: "سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فاجابني ثم سألت ثانية فأجابني بجواب آخر فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم فقال لي: يا جابر: إن للقرآن بطناً، وللبدن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه".^(١)

والناظر في رواياتهم التي تذهب هذا المذهب الباطني، يجد انها لاتعدو هذين الموضعين. قالوا: "وقد دلت أحاديث متكاثرة كادت أن تكون متواترة على أن بطونها وتأويلها بل كثير من تنزيلها وتفسيرها في فضل شأن السادة الأطهار، بل الحق المتبين أن أكثر آيات الفضل والإنعام والمدح والإكرام، بل كلها فيهم وفي أوليائهم نزلت وأن جل فقرات التوبيخ والتشنيع والتفضيع بل جملتها في مخالفهم وأعدائهم، إن الله عز وجل جعل جملة بطن القرآن في دعوة الإمامة والولاية، كما جعل ظهره في دعوة التوحيد والنبوة والرسالة".^(٢)

أما فيما يتعلق بقولهم أن جل القرآن نزل فيهم وفي أعدائهم: يقول الشيعة بأن "جل القرآن إنما نزل فيهم (يعني في الأئمة الإثني عشر) وفي أوليائهم وأعدائهم"، مع اننا لو فتشنا في كتاب الله وأخذت معك قواميس اللغة العربية كلها وبحثت عن اسم من أسماء هؤلاء الإثني عشر فلن تجد لها ذكراً، ومع ذلك تقول احد مصادرهم الرئيسية أن علياً وحده ذكر في القرآن (١١٥٤) مرة، ويؤلف صاحب المصدر السابق كتاباً أسماه (اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية)^(٣) وهو كلام ليس في حاجة إلى مراجعة وتحليل لبيان تهافتة وكذبه.

-
- ١ - تفسير العياشي: ١١/١، مصدر سابق.
 - ٢ - مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار: لأبي الحسن الشريف بن المولى محمد طاهر البناطي الفتوني، ص ٣، طهران، مطبعة الإفتاب، ١٣٧٤ هـ.
 - ٣ - اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية: هاشم الحسيني البحراني، إيران: قم: المطبعة العلمية، ١٣٩٤ هـ.

وتأتي بعض رواياتهم فتقول: "نزل القرآن اثلاثاً: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام" ^(١) وفي رواية ثانية يزيد فيها نصيب الأئمة ومخالفهم من الثلث إلى النصف: "نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فنياً، وربع في عدونا، وربع في سنن وأمثال، وربع في فرائض وأحكام." ^(٢) ويلاحظ أنه ليس للأئمة ميزة ينفردون بها في القرآن، وعن مخالفهم بالنسبة للتقسيم المذكور، وقد تظن بعضهم لهذا فوضع رواية ثالثة بنفس النص السابق إلا أنه زاد فيها: "ولنا كرائم القرآن" ^(٣) وقد أشار إلى ذلك صاحب تفسير الصافي فقال: "وزاد العياشي ولنا كرائم القرآن" ^(٤) فانتهاوا بهذا القول بأن أكثر القرآن نزل فيهم وفي أعدائهم.

يقول أحد كبار دعائهم (مؤلف الوافي أحد مصادرهم المعتمدة عندهم في الحديث) يقول: "ووردت أخبار جمة عن أهل البيت في تأويل كثير من آيات القرآن بهم وبأوليائهم، وبأعدائهم حتى أن جماعة من أصحابنا صنفوا كتباً في تأويل القرآن على هذا النحو جمعوا فيها ما ورد عنهم في تأويل القرآن آية آية، إما بهم أو بشيعتهم، أو بعدوهم على ترتيب القرآن، وقد رأيت منها كتاباً كاد أن يقرب من عشرين ألف بيت، وقد روى في الكافي، وفي تفسير العياشي، وعلي بن إبراهيم القمي، والتفسير المسموع من أبي محمد الزكي أخباراً كثيرة من هذا القبيل." ^(٥)

وهذا اعتراف منهم بأن هذه المقالة أصبحت هي القاعدة المتبعة في مصادرهم المذهبية، وهم يعتبرون هذا هو الأصل والقاعدة حتى قال بعض

-
- ١ - أصول الكافي: الكيني، ٦٢٧/٢.
 - ٢ - المرجع نفسه ونفس الصفحة.
 - ٣ - تفسير العياشي: ٩/١، مرجع سابق.
 - ٤ - تفسير الصافي: للفيض الكاشاني، ٢٤/١.
 - ٥ - نفسه، ٢٤/١ - ٢٥.

رموزهم: " إن الأصل في تنزيل آيات القرآن، إنما هو الإرشاد إلى ولاية النبي والأئمة - صلوات الله عليهم - بحيث لاخير خبر به إلا وهو فيهم وفي أتباعهم، وعارفيهم ولاسوء ذكر فيه إلا وهو صادق على أعدائهم وفي مخالفهم".^(١)

ويعقد "الحر العاملي" في كتابه "الفصول المهمة في اصول الأئمة باباً في هذا الشأن" بعنوان: "باب إن كل ما في القرآن من آيات التحليل والتحريم فالمراد بها ظاهرها والمراد بباطنها أئمة العدل والجور".^(٢)

فهو يعتبر آيات أحكام الحلال المقصود بها أنمتهم، وآيات الحرام المقصود بها خلفاء المسلمين باستثناء الإمام علي وبقية الأئمة الإثني عشر.

ولنستعرض معاً أحد مصادرهم المعتمدة في بيان اصول المذهب الشيعي الإمامي والتي تؤكد على الفكرة التي نحن بصددھا. وهو كتاب - بحار الأنوار" للمجلسي، وذلك من خلال رصد بعض أبوابه التي تجعل من كتاب الله كتاباً شيعياً لاموضوع له سوى أئمة الشيعة وأتباعهم وأعدائهم:

- باب أنهم عليهم السلام آيات الله وبياناته وكتابه - وفيه (٢٠) رواية.^(٣)
- باب أنهم السبع المثاني وفيه (١٠) روايات.^(٤)
- باب أنهم عليهم السلام الصافون والمسبحون وصاحب المقام المعلوم، وحملة عرش الرحمن، وأنهم السفرة الكرام البررة وفيه (١١) رواية.^(٥)
- باب أنهم كلمات الله، وفيه (٢٥) رواية.^(٦)

-
- ١ - أبو الحسن الشریف: مرآة الأنوار، ص ٤، مرجع سابق.
 - ٢ - الفصول المهمة في أصول الأئمة: محمد بن الحسن الحر العاملي، ص ٢٥٦، إيران، قم، مكتبة بصيرتي، ط ٣.
 - ٣ - بحار الأنوار: ٢٠٦/٢٣-٢١١، محمد باقر المجلسي، بيروت، مكتبة إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٠٣هـ.
 - ٤ - المصدر السابق: ١١٤/٢٤-١١٨.
 - ٥ - بحار الأنوار: ٨٧/٢٤-٩١، مرجع سابق.
 - ٦ - نفسه: ١٧٣/٢٤-١٨٤.

- وباب أنهم حرّمت الله وفيه (٦) روايات. ^(١)
- وباب أنهم الذكر وأهل الذكر وفيه (٦٥) رواية. ^(٢)
- وباب أنهم أنوار الله، وفيه (٤٢) رواية. ^(٣)
- وباب أنهم خير أمة وخير أئمة أخرجت للناس وفيه (٢٤) رواية. ^(٤)
- وباب أنهم المظلومون، وفيه (٣٧) رواية. ^(٥)
- وباب أنهم المستضعفون، وفيه (١٣) رواية. ^(٦)
- وباب أنهم أهل الأعراف الذي ذكرهم الله في القرآن وفيه (٢٠) رواية. ^(٧)

وباب تأويل الوالدين والولد والأرحام وذوي القربى بهم - عليهم السلام - وفيه (٢٣) رواية. ^(٨)

ويمضى في هذا النهج حتى يفسر الجمادات ويؤولها بالأئمة ويقول: باب أنهم الماء المعين، والبئر المعطلة، والقصر المشيد، وتأويل السحاب، والمطر، والظل، والفواكه، وسائر المنافع بعلمهم وبركاتهم، وقد أورد في هذا الباب إحدى وعشرين رواية. ^(٩) انتخبها - كعادته - من طائفة من كتبهم المعتمدة.

١ -	نفسه: ١٨٥/٢٤ - ١٨٦.
٢ -	نفسه: ١٧٢/٢٣ - ١٨٨.
٣ -	نفسه: ٣٠٤/٢٣ - ٣٢٥.
٤ -	نفسه: ١٥٣/٢٤ - ١٥٨.
٥ -	نفسه: ٢٢١/٢٤ - ٢٣١.
٦ -	نفسه: ١٦٧/٢٤ - ١٧٣.
٧ -	نفسه: ٢٤٧/٢٤ - ٢٥٦.
٨ -	نفسه: ٢٥٧/٢٣ - ٢٧٢.
٩ -	بحار الأنوار: ١٠٠/٢٤ - ١١٠، مرجع سابق.

ويغلو ويشتط ويتجاوز الحد، ليصل إلى أوصاف الرب جل جلاله فيقول:
باب أنهم جنب الله وروحه، ويد الله وأمثالها ويذكر فيه ستاً وثلاثين رواية. ^(١)
ويؤول الإمامية الآيات المتعلقة بصفات الله سبحانه بالأئمة، وعلى سبيل المثال
قالوا: "إن الأخبار المستفيضة تدل على تأويل وجه الله بالأئمة عليهم السلام". ^(٢)
يعنون أخبار الشيعة، وقد ذكر المجلسي جملة من هذه الأخبار في باب
عقده بعنوان: "باب أنهم عليهم السلام جنب الله ووجه الله ويد الله وأمثالها". ^(٣)
وحول قوله تعالى: "كل من عليها فان" الرحمن/٢٦ قال صاحب "الكافي" أن
يجعل لأئمة الشيعة ميزة ينفردون بها في حكم الموت العامه فقال: "إن الأئمة
يعلمون متى يموتون ولا يموتون إلا باختيار منهم". ^(٤)

ولكنهم ماتوا على كل حال ولو كان الموت حسب اختيارهم لما كان
للتقية وجود. ويقولون: إن الأسماء الحسنی الواردة في قوله سبحانه: "والله
الأسماء الحسنی فادعوه بها". الأعراف/١٨٠ هي الأئمة ويروون عن أبي
عبدالله أنه قال: نحن والله الاسماء الحسنی الذي لا يقبل من أحد إلا بمعرفتنا قال:
"فادعوه بها". ^(٥)

والتوبة ومعناها معروف (الرجوع من المعاصي إلى طاعة الله) ولكن
الشيعة تفسر التوبة بالرجوع من ولاية أبي بكر وعمر وبني أمية إلى ولاية علي،
ففي قوله سبحانه: "فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك" غافر/٧ جاء تأويلها عندهم
في ثلاث روايات، تقول الأولى: "فاغفر للذين تابوا" من ولاية فلان وفلان

-
- ١ - نفسه: ١٩١/٢٤ - ٢٠٣، مرجع سابق.
 - ٢ - مرآة الأنوار: ٣٢٤، مرجع سابق.
 - ٣ - بحار الأنوار: ١٩١/٢٤، مرجع سابق.
 - ٤ - أصول الكافي: ٢٥٨/١، مرجع سابق.
 - ٥ - تفسير العياشي: ٤٢/٢ والصافي، ٢٥٤-٢٥٥ والرهان ٥١/٢ مراجع
سابقة.

(يعنون أبا بكر وعمر) وبني أمية، وتقول الرواية الثانية (فاغفر للذين تابوا) من ولاية الطواغيت الثلاثة (يعنون أبا بكر وعمر وعثمان) ومن بني أمية (واتبعوا سبيلك) يعني ولاية علي، وتقول الثالثة (فاغفر للذين تابوا) من ولاية هؤلاء وبني أمية (واتبعوا سبيلك) هو أمير المؤمنين^(١).

وكان الشيعة بهذا تجعل من والي علياً ليس عليه ذنب، وإن بلغت ذنوبه مبلغاً كبيراً، وتجعل موالاة أفضل الخلق بعد النبيين أبي بكر وعمر وعثمان هو الكفر الذي لا ينفع معه عمل، طبقاً لآراء وتحليلات الإمامية من خلال تأويلاتهم الباطنية.

وتأويلهم لكثير من آيات القرآن بالإمامة والأئمة يربو على الحصر، وكان القرآن لم ينزل إلا فيهم ولقد تجاوزوا في هذه الدعاوي كل معقول حتى أنهم قالوا في تأويل قوله تعالى: "وأوحى ربك إلى النحل" النحل/٦٨: هم الأئمة، وروى القمي بإسناده إلى أبي عبد الله قال: "نحن النحل التي أوحى الله إليه" أن اتخذ من الجبال بيوتاً" أمرنا أن نتخذ من العرب شيعة "ومن الشجر" يقول: من العجم" ومما يعرثون" يقول: من الموالي..^(٢) وجمع المجلسي رواياتهم في هذا المعنى في باب بعنوان: "باب نادر في تأويل النحل بهم عليهم السلام"^(٣) كما جاء بروايات تقول: إن الأئمة هم الماء المعين والقصر المشيد والسحاب والمطر والفواكه وسائر المنافع الظاهرة..^(٤)

ويلاحظ أن هذه التأويلات ليست عندهم آراء أجتهدية في تأويل القرآن قابلة للأخذ والرد والمناقشة والتعديل بل هي في مقاييسهم نصوص شرعية لها

١ - البرهان: ٩٢/٤-٩٣ وتفسير الصافي ٣٣٥/٤: مرجعان سابقان.

٢ - تفسير القمر: على إبراهيم القمر: تصحيح وتعليق، طيب الموسوي الجزائري: ٣٨٧/١، ط ٣، بيروت، ١٣٨٧هـ.

٣ - بحار الأنوار: ١١٠/٢٤-١١٣، مرجع سابق.

٤ - نفسه: ١٠٠/٢٤-١١٠.

سمة الوحي وأهميته، وقدسية النص النبوي وشرعيته وقد جاءت عندهم نصوص كثيرة تحذر وتنذر من رد أمثال هذه النصوص التي لا تتفق مع العقل والفطرة ولا مع المنطق واللغة.

الفصل السادس

النصيرية والتأويل

من جملة غلاة الشيعة، ولهم جماعة ينصرون مذهبهم، ويذبون عن أصحاب مقالاتهم، وبينهم خلاف فى كيفية إطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت، قالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل. أما فى جانب الخير فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص، والقصور بصورة إعرابي، والتمثل بصورة البشر، وأما فى جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة إنسان حتى يعمل الشر بصورته، وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه، فكذلك نقول: إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شخص أفضل من على رضى الله عنه، وبعده أولاده المخصوصون؛ وهم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم. (١)

وقد سميت النصيرية بهذا الاسم نسبة إلى (محمد ابن نصير النميرى) الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى، وهو واتباعه يقدمون لنا مثلاً واضحاً لطائفة انتقلت مباشرة من الوثنية إلى طائفة الشيعة. (٢)

١ - الملل والنحل : الشهرستاني : ١٨٨-١٨٩، ط دار الفكر - بيروت: بتحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مرجع سابق.

٢ - تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، د. حسن إبراهيم حسن: ج ٤: ٢٦٦-٢٦٧، ط دار إحياء التراث العربى: بيروت، وابن نصير" مؤسس هذه الفرقة، عاش فى القرن الثالث الهجرى، وتوفى ٢٧٠هـ، وقد زعم ابن نصير أنه "الباب" إلى الإمام الحسن العسكرى، فتبعه طائفة من الشيعة سموا "النصيرية": انظر فى تفصيل سيرته: دائرة معارف القرن العشرين: المجلد العاشر: طبعة دار المعرفة: بيروت، والدائرة لمحمد فريد وجدى.

وتسكن النصيرية فى الجبال المساء باسمهم من جبال اللاذقية فى سوريا، ومنهم من يسكن جنوب تركيا، أطراف لبنان الشمالى، وفارس وتركستان الروسية، وكردستان، ولهم أسماء محلية أخرى يعرفون بها فى أماكن سكنهم مثل (التختجية) و (الخطابون) فى غربى الأناضول بتركيا، والعلى الهية) فى فارس، وتركستان وكردستان. (١)

والنصيرية تحتفظ بقسط وافر من الأسرار، وما تزال تحتفظ بمعالم واضحة تنبئ عن معتقدات هى مزيج من عناصر متجانسة من الاسلام والنصرانية والوثنية.

والحقيقة كما يقول المستشرق جولدزيهر : فإن النصيرية انتسبت إلى الاسلام اسمياً، هذا الاسلام الذى تمثله هذه الصورة المتخفية، الساترة للوثنية الآسيوية القديمة التى أضافت إليها أيضاً، عندما تشكلت على هذه الصورة، الكثير من العناصر المسيحية كقداس الأطعمة والنيبذ، وأحياء الأعياد الخاصة بالمسيحية، وأن الروح العامة لهؤلاء الناس قد احتفظت فى الواقع بالتقاليد الوثنية التى كانت لأجدادهم، وأن غيرتها من الناحية الظاهرية البحتة، وذلك عندما طبقها هؤلاء على الأوضاع الخارجية الجديدة التى للعبادات الإسلامية. (٢)

وكان محمد بن نصير من أصحاب الحسن بن على، فلما مات الحسن إدعى وكالة لابن الحسن الذى تقول الإمامية بإماتته، ففضحه الله تعالى بما أظهره من الإلحاد والغلو والقول بتناسخ الأرواح، ثم إدعى أنه رسول الله ونبى من قبل الله، وأنه أرسله على بن محمد وجحد أمامة الحسن العسكرى وإمامة ابنه، وادعى بعد ذلك الربوبية وقال بإباحة المحارم. (٣)

-
- ١ - دائرة معارف القرن العشرين: مادة : نصيرية: مجلد ١٠: مرجع سابق.
 - ٢ - العقيدة والشريعة فى الاسلام: جولد سيهر : ٢٤٧-٢٤٩: مرجع سابق.
 - ٣ - شرح نهج البلاغة: ابن أبى الحديد: ج٢: ٣٠٩-٣١٠: القاهرة: دار الكتب العربية. بدون.

ودون الدخول فى تطور فرقة النصيرية من الناحية التاريخية، نحاول الدخول مباشرة إلى منهجهم فى التأويل الباطنى.

لقد عملت النصيرية على تأويل الشرع وفق مقررات مذهبها التلفيقي ونظام دعوتها التى تعتمد التدرج والسرية والكتمان، فزعمت أن علياً قد خصص بالتأويل وأن محمداً خصص بالتنزيل واعتبار على والنبي كالضوء من الضوء، إلا أن أحدهما أسبق والثانى لاحق له، ومن ثم تفضيل الباطن على الظاهر، أى على على النبي، والولاية على النبوة وحملهم هذا الرأى على وصف أنفسهم بالمؤمنين والممتحنين وأهل التوحيد. (١)

لقد تعمدت النصيرية الرمز فى الدين والتمسك بما تسميه الصورة الباطنية للعقيدة والعبادة، ويحاول العالم الشاعر النصيرى "المكزون السنجارى" أن يعلل ذلك فلا يشفى غله، وذلك فى قوله:

قالوا تحدث بالصحيح من الحديث بغير رمز
فأجبتهم هل عاقل يرمى الكنوز بغير حرز
ويقذف بنا المكزون ببيتيه هذين - فضلاً عن قصائد أخرى مطولات -
إلى صلب علم الباطن الذى يبدأ تعليله بأن بعض الأحكام الدينية لا يعلمها إلا
الخواص، وأن علوم أهل البيت غير معلومة لعامة المسلمين، وأن لهم - أى آل
البيت - علوماً خفية. (٢)

وقد أورد صاحب الباكورة السيمانية (٣) خمس عشر سورة تبدأ السورة غالباً بشيء من القرآن الكريم ثم سرعان ما يحرمون بها عن القصد ويأخذون

١ - يراجع فى ذلك: الملل والنحل للشهرستانى: ١٨٨ وكذلك: الفكر الشيعى والنزعات الصوفية: ٦٣٠ وما بعدها: بغداد ١٩٦٦.

٢ - معرفة الله والمكزون السنجارى: ١٣/٢. د. أسعد أحمد على: ط: دار الرائد العربى: ١٩٧٢: بيروت.

٣ - سليمان أفندى الأذنى: الباكورة السليمانية فى كشف أسرار الديانة النصيرية: نسخة مسجلة بدار الكتب المصرية: تحت أرقام ١١٧، ١٦٩، ٥٠١ لاهوت.

فى التدليل على ألوهية الأمام على؁ وهذه السورة يلقتها شيخهم لكل من يريد الدخول فى ديانة النصيرية وعلى سبيل المثال ننقل نماذج من هذه الصور:

فى السورة رقم (٥) واسمها سورة الفتح نجد مايلى:

"إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً" أشهد بأن مولاي أمير النحل على اخترع السيد محمد من نور ذاته وسماه اسمه ونفسه وعرشه وكرسيه وصفاته متصل به ولا منفصل عنه. (١)

وحول تألية على رضى الله عنه "أشهد على أيها الحجاب العظيم الباب الكريم.. أشهدوا على يا أهل المراقب وعالم الصفا أجمعين أنى أشهد بأن ليس إلهاً إلا على بن أبى طالب الأصلع المعبود ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود؁ ولا باب إلا السيد سلمان الفارسى المقصود". (٢)

ونص آخر يؤكد ذلك: "أشهد بأن الصورة المرئية التى ظهرت فى البشرية هى الغاية الكلية؁ وهى الظاهرة بالنوارنية وليس إله سواها وهى على بن أبى طالب؁ وأنه لم يحاط ولم يحصر ولم يدرك ولم يبصر". (٣)

وينسبون إلى على كل صفات الله عز وجل: "هذا مولاكم على بن أبى طالب فاعرفوا وسبحوه وعظموا وكبروه؁ هذا خالقكم ورازقكم فلا تتكروه وعلى بن أبى طالب حى لا يموت بيده القدرة والجبروت". (٤)

وفى السورة الثانية عشرة واسمها الإمامة يقول: "أشهدن على أيها النجوم الزاهرة والكواكب النائرة والأفلاك الدائرة؁ بأن هذه السورة المرئية المعينة

١ - الباكورة السليمانية: ص ١٨.

٢ - نفسه : ص ٢٦ السورة الحادية عشرة.

٣ - نفسه : ص ٢٧.

٤ - نفسه : ص ٢٧.

المناظرة هي على بن أبي طالب القديم الأحد الفرد الصمد الذي لا يتجزأ ولا يتبعض ولا ينقسم ولا يدخل في عدد فهو إلهي وإلهكم وإلهي أمامي وإمامكم".^(١)
ومن كتيب صغير بعنوان "كتاب ديانة النصيرية" أحد مصادرهم، وهو على طريقة السؤال والجواب، ويتألف من ١٠١ سؤال^(٢)

ونستشهد من خلالها على بعض الأسئلة التي تؤله على ابن أبي طالب:

١- من الذي خلقنا (ج) على بن إبي طالب أمير المؤمنين.

٢- من أين نعلم أن علياً إله؟

(ج) مما قاله هو عن نفسه في خطبة البيان وهو واقف على المنبر إذ قال:

"أنا سر الأسرار أنا شجرة الأنوار أنا دليل السماوات أنا أنيس المستجاب
أنا سائق الدعوة أنا شاهد العهد أنا زاجر القواصف أنا محرك العواصف
أنا مزن السحاب أنا نور الغياهب، أنا حجة الحجج، أنا ميمن الأمم أنا
سبب الأسباب أنا مسدد الخلائق أنا محقق الحقائق أنا جوهر القدم أنا
مرتب الحكم أنا الأول والآخر أنا الباطن والظاهر أنا جامع الآيات أنا
سريرة الخفيات أنا ساحر البحر أنا مفجر الأنهار أنا مؤول التأويل أنا
مفسر الأتجيل أنا أم الكتاب أنا فصل الخطاب أنا صراط الحمد أنا أساس
المجد أنا ظهر الأظهار".^(٣)

٣- من الذي دعانا إلى معرفة ربنا؟

١ - الباكروة السليمانية: ص ٢٩: مرجع سابق.

٢ - نقله الدكتور بدوي عن مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس (مذاهب المسلمين)

ج ٢ : ٤٧٤-٤٨٧: بيروت: دار العلم للملايين : ط ١: ١٩٧٣م.

٣ - راجع النص الكامل للخطبة في كتابي "تاريخ الدعوة الاسماعيلية"، لمصطفى غالب:

ص ٢٣٠ وما بعدها، "الإنسان الكامل في الاسلام" د. عبد الرحمن بدوي من ص

١٣٩-١٤٣: نشر وكالة المطبوعات : الكويت: ١٩٧٦م.

(ج) محمد كما قال هو في خطبة ختمها بقوله "أنه (أى على) ربى وربكم" (١)، فعلى في نظرهم "إله في الباطن إمام في الظاهر، لم يلد ولم يولد ولم يميت ولم يقتل ولا يأكل ولا يشرب، وهو الذى اتخذ محمداً ناطقاً، لذا فهو متصل بدليلاً منفصل عنه نهاراً" (٢). لأنه فاض في نوره المشع فهو الدال عليه، يروى أحد كتاب النصيريين عن محمد بن سنان: "أنه لا يدل على الله إلا من كان منه أو من نوره الخاص .. ثم يضيف قائلاً: أستم تعلمون أن محمداً ولى على على إذا كان منه أو من نوره" (٣)

ويفسرون قوله تعالى "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى" الكهف/ ١٠٩ بأن الكلمات هو الظهورات التى ظهر فيها الله بالبشرية (٤).

وظهور الله - جل شأنه - فى البشرية كما يزعمون كان "عدلاً منه وإنصافاً لئلا يكون على حجة بعد الرسول، فنطق من البشر وظهر بالمعجزات والقدرة ليدلهم على ذاته، فكان ظهوره قدرة، ونطقه حكمه، ودلالته على ذاته رحمة، وغيبته عظمة، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : "وهو الله الذى فى السماء إله وفى الأرض إله" الزخرف/ ٨٤ (٥).

ويؤولون (بسم الله الرحمن الرحيم) : على أن لفظ الجلالة إشارة إلى المعنى، والميم من (بسم) إشارة إلى الإسم، والسين من (بسم) إشارة إلى الباب،

-
- ١ - نقلاً عن د. بدوى فى مذاهب الاسلاميين: ج ٢ : ٤٧٤-٤٨٧: مرجع سابق.
 - ٢ - إسلام بلا مذاهب: مصطفى الشكعة: ص ٣٣٥ : ط ٣ : ١٩٧٩: ط الحلبي.
 - ٣ - كتاب الأصيفر /أبو عبدالله بن شعبة الحراني - مخطوط فى المكتبة الهلية ببائيس رقم ١٤٥٠ عربى ورقة ٥ ب.
 - ٤ - المصدر السابق : ورقة ٣٥ أ.
 - ٥ - المصدر السابق: ورقة ٢٩ ب.

والباب إشارة إلى اليتيم وهو المقداد، والرحمن الرحيم إشارة إلى الحسن والحسين وهم شخصين من أشخاص السيد محمد" (١)

والخلاصة أن النصيرية "يدعون أنهم أهل التوحيد، وأنهم المترجمون الصادقون عن الفكر الشيعي القويم، ويعدون الشيعة العاديين من الظاهرية ومن أنصار التعاليم الدينية السطحية الذين لم يتغلغلوا في أعماق الوحدانية الحقّة، ويحكمون عليهم بالتقصير ويسمونهم ب(المقصرة) لأنهم تخلقوا عن غيرهم في عبادة على، وقصروا فيها عن القدر المطلوب" (٢)

ونستطيع القول أن مذهب النصيرية يتكون من مزيج من عناصر غير متجانسة منها: الوثنية كتقديس الكواكب والنجوم، ومنها النصرانية، كالاعتقاد بالثالوث، ومنها شيعية إثنا عشرية كالاعتقاد بسلسلة الأئمة الاثني عشر، ومنها مجوسية مزدكية كاباحة المحرمات، وإسقاط الواجبات والاحتفال بعيد النيروز (٣). لقد أولت النصيرية الكثير من المعاني الإسلامية تأويلاً باطنياً بعيداً عن قواعد وأصول التفسير المتعارفة، بل يتنافى والمنهج العقلي الاجتهادي الذي لا يرفضه الخطاب الاسلامي، فتحولت بذلك إلى نسيج سقيم من الأكاذيب والمبالغات.

١ - مناظرة الشيخ يوسف الحلبي: مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربى ورقة ٩٤ أ.

٢ - العقيدة والشرعية في الاسلام: جولد تسيهر : ٢٤٩: مرجع سابق.

٣ - العلويون أو النصيرية: السيد عبد الحسين العسكري: ص ٥٩ - ٦٩: بيروت، بدون بيانات.

الفصل السابع

الرد على التأويل الباطنى

لاشك أن الباحث فيما عرضنا لمنهجية التأويل الباطنى عند الفرق السابقة يصاب بالدهشة حين يقارن ما توصل إليه هؤلاء من مفاهيم وأصول مذهبية، وبين تعاليم ومبادئ الخطاب الإسلامى حول هذه المسائل ولعلنا نصل إلى ركنين أساسيين فى هذا التناول الباطنى، لعلهما يلخصان لنا حقيقة المنهاج الباطنى وفلسفة التأويل عندهم.

الأول : الإيمان بولاية الأئمة وإمامتهم، إلى درجة أنهم جعلوا آيات الألوهية والربوبية وأركان الإسلام وفروعه كلها تعنى فى الباطن الإمامة والأئمة.

الثانى : البراءة من أعدائهم: فقد جعلوا كل آيات الكفر والشرك والنفاق تعنى فى الباطن أعداء أهل البيت الذين هم بزعمهم الصحابة وجميع المسلمين الذين يخالفونهم فى المذهب.

وقد وصفت الباطنية بأنها مزيج من المسيحية والغنوصية مع فيثاغورية محدثة تتلاعب بالأعداد وبخاصة الأعداد (٧)، (١٢) سبعة وثنى عشر. (١) كذلك بها مزيج من نحل صوفية وهرطقية غالية وربما أخذتها من أصول فارسية قديمة أو سريانية غنوصية. (٢) وإذا عدنا إلى المذاهب الفلسفية التى ظهرت فى مدينة الإسكندرية خلال القرن التاسع الميلادى، فقد كان لترجمة المؤلفات الفلسفية اليونانية وانتشارها أثر واسع فى تبلور فكر هذه الحركات (٣).

١ - نشأة الفكر الفلسفى: د. على سامى النشار: ج٢: ص ٣٨٤ : مرجع سابق.

٢ - أصول الأسماعية : برنارد لويس: ٤٨ : مرجع سابق.

٣ - تاريخ الفلسفة الإسلامية : د. ماجد فخري: ٧١: ترجمة د. كمال اليازجى: الدار المتحدة: بيروت، ١٩٧٩.

ومن أهم هذه المدارس والمذاهب التي ظهرت فى هذه الحقبة التاريخية،
الفيثاغورث المتأخرة أو الحديثة) والأفلاطونية المهودة، والأفلاطونية المتأخرة أو
(الحديثة، المعروفة بالمذاهب الاسكندراني، وكل هذه المذاهب وسواها مما نشأ
فى الاسكندرية غلب عليها الاصطباغ بالدين ووضع العقائد الدينية الشرقية فى
معايير الفلسفة اليونانية قدر الإمكان (١).

وينبغى أن نذكر أن هذه المذاهب نفسها كانت وليدة الفلسفات الشرقية
القديمة القائمة على العلوم السرية وتنظيم الجمعيات السرية (٢).

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان اهتمام الباطنيين بالمذاهب الفيثاغورى،
النتيجة المباشرة للمؤثرات الاسكندرانية والاغريقية وغيرها، فالنزعة الباطنية
التي تميزت بها الفلسفة الفيثاغورية انسجمت مع ميولهم (٣).

ولذلك فقد وجدت الفيثاغورية الحديثة أكبر تلامذة لها لدى الكثيرين من
غلاة الشيعة فكان لفكرة الاعداد والحروف مكان واضح فى أفكارهم ولدى
طوائهم المختلفة، والتي تعتبر الحروف رموزاً ترمز إلى إعداد، والأعداد ترمز
إلى حروف، كما اعتبرت للحروف خصائص خاصة، وأفكار الميم والسين
والعين لدى الغلاة هي من جملة هذه الأفكار (٤).

ويمكننا القول أن المذهب السكندري (٥) الذى انتشر فى الاسكندرية بين
القرن الثالث (ق.م) والقرن الثالث (ب.م) وانبثقت عنه الفلسفة الأفلاطونية

-
- ١ - تاريخ الفكر العربى: د. عمر فروخ: ١٥٢ : بيروت: دار العلم للملايين: ١٩٧٢.
 - ٢ - الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى: آدم متر : ٢٠-١٩/٢ : ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريدة: القاهرة: مكتبة الخانجي: ١٩٦٧م.
 - ٣ - تاريخ الفلسفة الاسلامية : ماجد فخري : ص ٢٢٥: مرجع سابق.
 - ٤ - هيرقليطس : فيلسوف التغير وأثره فى الفكر الفلسفى : ٣٠٦-٣٠٩ : د. على سامى النشار بالاشتراك مع د. محمد على أبو ريان ود. عبده الراجحي: دار المعارف: ١٩٦٩.
 - ٥ - المقصود به الفلسفة اليونانية فى المرحلة السكندرية فيما الثالث ق.م والسادس بز/ وتطلق خاصة على الفلسفة الدينية فى هذه الفترة: المعجم الفلسفى : ص ١٣: مجمع اللغة العربية.

الحديث، والذي يقوم على خصائص معينة أهمها: الدقة فى التفكير والغموض فى المعانى، والتعبير عن الحقائق بالرموز والإشارات ^(١) . له أهمية رئيسية فى تاريخ الباطنية بالعالم الإسلامى.

وينبغى أن نذكر فى هذا المجال "العرفانيون اليهود"، وعلى رأسهم "فيلون اليهودى" ^(٢) الذى يعد من أكبر ممثلى النزعة إلى التأويل، وقد دفعه إلى اتخاذ هذا المذهب الحملة التى قام بها المفكرون اليونانيون على ما فى التوراة من قصص وأساطير ساذجة أو غير معقولة - على حد زعمهم - مثل برج بابل، والحية التى أغرت حواء فى الجنة، وغضب الله وأحلام يوسف. فاضطر فيلون إلى الدفاع عن التوراة بتأويل هذه المواضع تأويلاً باطنياً، ورأى أن التأويل الباطنى هو روح النص المقدس، وأن التفسير بالمعنى الحرفى للنص سيؤدى إلى الكفر". ^(٣)

ومن فيلون انتقلت طريقة التأويل الباطنى إلى النصرانية، وخصوصاً "أوريجانوس" ^(٤) الذى تأثر باستاذية فيلون وافلوطين، وكان أوريجانوس يزعم أن الكتاب المقدس يفسر على ثلاثة أوجه:

- ١- الرجل البسيط يكفيه جسد الكتاب المقدس.
- ٢- والرجل المتقدم فى الفهم يدرك روح هذا الكتاب.

-
- ١ - المعجم الفلسفى : د. جميل صليبا : ٨٠/١
 - ٢ - تعرضنا لترجمته من قبل.
 - ٣ - مذاهب الاسلاميين : د. عبد الرحمن بدوى : ١١/٢ - ١٢ : مرجع سابق.
 - ٤ - أوريجانوس: عاش فيما بين ١٨٥ إلى ٢٥٤ ميلادية، وهو أول مسيحي حاول أن يرسم الحدود بين العقل والوحى، وهو أحد مؤسسى الأفلاطونية الجديدة، وقد توفى فى مدينة صور. انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم: ٢٧٤-٢٧٥: القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: ١٣٦٥هـ.

٣- والكامل من الرجال هو الذى يفهم بالناموس النفسانى الذى يطلع على الغيب، وذلك أن أوريجانوس تحت وطأة هجمات المفكرين اليونانيين، اضطر إلى الإقرار بأن فى التوراة استمالات. (١)

وقد وصل التأثير اليهودى المسيحى الباطنى إلى أصحاب مذهب التأويل بالباطن إلى العالم الاسلامى عن طريق "ابن سبأ" اليهودى (٢) الذى تكاد معظم المصادر التاريخية تجمع على أنه كان من الأشخاص الرئيسيين الذين أوصلوا هذه المؤثرات إلى العالم الإسلامى، وخاصة أنه من اليهود المقيمين فى اليمن الذين امتزجت ديانتهم فيها بالنصرانية، ويؤكد ذلك ما أورده الدكتور عبد الرحمن بدوى نقلاً عن "فريد ليندر" - أحد المستشرقين - الذى انتهى إلى القول بأن مزاعم ابن سبأ بانكاره موت على رضى الله عنه، وأنه سيرجع من السحاب ما هى إلا أفكار ترجع إلى يهود اليمن وإلى ما يقوله يهود الفلاشا فى الحبشة بالذات، وهى يهودية شديدة التأثير بالنصرانية الحبشية، فهم يستعملون نفس الكتاب المقدس، ولغة الكتاب المقدس سواء عند اليهود والنصارى فى الحبشة، والكتب الموجودة عند الفلاشا، عدا الكتاب المقدس، حافلة بالأخبار المنتزعة من العهد الجديد ومستمدة مراراً من النصارى مباشرة، وهنا يقرر "فريد ليندر" أن عقائد الباطنية مأخوذة عن اليهود وما تأثرت به من مذاهب أجنبية أخرى. (٣)

وبالإضافة لذلك فإن للنقاش المسيحى حول شخصية (يسوع) ولتلك النصرانية المفلسة التى ناقشت طبيعة (المسيح وعيسى) لاهوته وناسوته، وهى التى اختط منها أوريجانوس، كان لذلك دون ريب أكبر الأثر فى القول

١ - مذاهب الإسلاميين : د. بدوى : ١٣/٢ .

٢ - سبق وعرضنا لتاريخه.

٣ - مذاهب الإسلاميين : د. بدوى : ٢٠/٢ ، ٢٨-٢٩.

بحلول الجزء الألهى فى أئمة الشيعة، ولا شك كذلك ي "أبن السوداء".^(١) هو الذى نقل هذه النظرية من النصرانية المفسفة، وزعمها من على وذريته.^(٢) والأسماعيلية من الفرق الباطنية التى استقت أفكارها من الغنوصية "فالتوحيد فى نظرها ليس لله، وإنما هو للعقل الفعال والمبدع الأول، فهو الواسطة بين الله وبين عباده، ويأتون بحديث قدسى موضوع يقول فيه الله مخاطباً العقل: أنت فتقى ورتقى، والمشرق منى على خلقى، بك آخذ حقى، بك أنجز وعدى، فوعزتى وجلالى، لا أصل من يجحدك، ولا يعرفنى من أنكرك، فأنت منى بلا تبعيض، وأنا فيك بلا حلول، وفى منتهى لطائف العقول".^(٣)

ومن هذا الاعتقاد الغنوصى تقدس الاسماعيلية أئمتها أيما تقديس، لأن الإمام فى نظرهم هو العقل، والعبادة والتقديس والمعاد متجهة إليه، والإسماعيلية مليئة بالطقوس والأسرار الباطنية، ولها طريقة خاصة ودستور معين لدخول المجتبيين فى الدعوة.^(٤)

ولا شك أن كل هذه الاعتقادات والأفكار تركت آثارها على منهجية التأويل والتناول لدى فرق الغلاة فى البيئة الإسلامية، وظهرت بوضوح فى مصادرهم ومراجعهم التى تمثل الأساس الذى يبلورون من خلاله مذاهبهم العقائدية والسياسية.

١ - ابن السوداء هو ابن سبأ اليهودى.

٢ - المهدية فى الإسلام منذ أقدم العصور وحتى اليوم: سعد محمد حسن: ٧٩: مصر : دار الكتاب العربى: ١٩٥٣.

٣ - أربع رسائل اسماعيلية: تحقيق: عارف تامر: ص ١٧: رسالة مطالع الشمس فى معرفة النفوس، لشهاب الدين أبو فراس: بيروت : دار مكتبة الحياة: بيروت: ١٩٧٨.

٤ - المرجع السابق: الرسالة الثالثة: الدستور ودعوة المؤمنين للحضور: الطيبى: ص ٤٩.

ونحاول الآن عرض بعض أوجه النقد التي وجهت للمنهج الباطنى فى التأويل وذلك من خلال عدد من الآراء التى واجهت الفكر الباطنى فى مؤلفات مباشر، ونبدأ برأى الغزالى فى فضائح الباطنية.

أولاً: الرد عليهم بالمطالبة والمعارضة والتحقيق: لقد رد أبو حامد الغزالى على قولهم بالتأويلات الباطنية رداً عقلياً، وذلك من خلال ثلاثة مسالك، إبطال ومعارضة وتحقيق.

الأول : الإبطال : هو هو أن يقال : بم عرفتم أن المراد من هذه الألفاظ ما ذكرتم؟ فإن أخذتموه من نظر العقل فهو عندكم باطل، وإن سمعتموه من لفظ الإمام المعصوم، فلفظه ليس بأشدّ تصريحاً من هذه الألفاظ التى أولتموها، فلعل مراده أمر آخر أشد بطوناً من الباطن الذى ذكرتموه، ولكنه جاوز الظاهر بدرجة فزعم أن المراد بالجبال الرجال، فما المراد بالرجال؟ لعل المراد به أمر آخر. فإن قلت: يمكن أن يكنى بالجبال عن الرجال. قلنا : ويمكن أن يكنى بالرجال عن غيرهم ... وهكذا فى كل فن، وإذا تسييح الجبال على تسييح الرجال فليُنزل معنى الرجال فى قوله تعالى : "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله" النور/ ٣٧ على الجبال، فإن المناسبة قائمة من الجانبين، ثم إذا نزلت الجبال على الرجال، ونزل الرجال أيضاً على غيره، أمكن تنزيهاً ذلك الباطن الثالث على رابع، وتسلسل إلى حد يبطل التفاهم والتفهم، ولا يمكن التحكم بأن الحائز الرتبة الثانية دون الثالثة دون الرابعة.

الثانى: معارضة الفاسد بالفاسد : وهو أن يتناول جميع الأخبار على نقيض مذهبهم، مثلاً يقال فى الحديث النبوى : إذا ولغ الكلب فى إناء أحكم فليغسله سبعاً^(١) أى إذا نكح الباطنى بنت أحكم فليغسلها عن درن الصحبة بساء العلم وصفاء العمل، وبعد أن يعفرها بتراب الإذلال.

١ - أخرجه مسلم : ١٧٥/٣ كتاب الطهارة : باب حكم ولوغ الكلب: حديث ٦٤٩.

والمقصود من ذكر هذا القدر معارضة الفاسد بالفاسد، وتعريف الطريق في فتح هذا الباب، حتى إذا اهتديت إليه لم تعجز عن تنزيل كل لفظة من كتاب أو سنة على نقيض معتقدهم.

الثالث : التحقيق : وهو أن يقال : هذه البواطن والتأويلات التي ذكرتموها، ما حكمها في الشرع؟ هل يجب إخفاؤها، أم يجب إفشاؤها؟ فإن قلتم يجب إفشاؤها إلى كل أحد. قلنا : فلم كتّمها محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يذكر شيئاً من ذلك للصحابة ولعامة الخلق؟ وكيف استجاز كتمان دين الله وقد قال تعالى : "لتبينه للناس ولا تكتمونه" آل عمران/ ١٨٧.

وإن زعموا أنه يجب أخفاؤه فنقول: ما أوجب على رسول الله صلى الله عليه وسلم إخفاؤه من سر الدين، كيف حل لكم إفشاؤه؟ والجناية في السر بالإفشاء أعظم الجنايات وهو خروج عن الدين ومخالفة لصاحب الشرع وهذا لامخرج لهم عنه.

فإن قيل: هذا سر لا يجوز إفشاؤه إلى عوام الخلق، ولهذا لم يفشه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إلى سوسه^(١) الذي هو وصيه وخليفته من بعده، وقد أفشاه إلى علي دون غيره.

قلنا: وعلي هل أفشاه إلى غير سوسه وخليفته، أم لا؟ فإن لم يفشه إلا إلى سوسه وكذا سوس سوسه وخليفة خليفته إلى الآن.

فكيف أنتهى إلى هؤلاء الجهال من العوام حتى تتاطقوا به وشحنت التصانيف بحكايته وتداولته الألسنة؟

١ - السوس يعني الأصل والطبع والخلق والسجية: أنظر: لسان العرب، مج ٣، ص

فلا بد أن يقال: (إن واحداً من الخلفاء عصر وأفشى السر إلى غير أهله فانتشر) وهذا يبطل مذهبهم في عصمتهم، لأنهم يعتقدون أن الأئمة والخلفاء معصومون لا يتصور عليه العصيان. (١)

رأى يحيى بن حمزة العلوي (٦٦٩-٧٥٤هـ): حيث يرى في افحام الباطنية والرد عليهم مقامات خمسة:

المقام الأول: يقال لهم: مادي كم إلى هذا الزلل الواضح، والزيغ البين من تحريف ظواهر الشريعة ونصوصها، وتزليلها على أمور لم تقصد، ورموز لاتفهم، ولا خطرت على قلب صاحب الشريعة، ولا وضعت في حقيقة ولا حجاز زعمتم أن المراد بالشياطين في قوله تعالى: "فإن أخذتموه من العقل فهو خطأ، لأن العقل: ضرورياً كان أو نظرياً، فلا مدخل له في وضع الألفاظ ولا في دلالتها على معانيها، وأيضاً فالعقول عندكم لا اعتماد عليها. (٢)

المقام الثاني: إنا نقول لهم: إذا تأولتم هذه النصوص والظواهر في جميع القرآن والأخبار على معاني لم يقصدها صاحب الشريعة، ولا خطرت له على بال، ولا هي مفهومة في وضع ولا اصطلاح، فبم تفصلون عن يتأول الأخبار والآيات على ما يناقض مذهبكم.

فإذا عرفت ذلك، فخذ كل لفظ ذكره، وخذ نقيضه وأطلب بينهما المشاركة بوجه ما تأولته عليه يكون دليلاً عليه بموجب مذهبهم، فإذا انفتح لك هذا الباب، اطلعت على سبب تلبسهم بنزع معاني الألفاظ، وتقرير تهويساتهم، توصلوا إلى أبطال الشرع وهدم مناره وهذه حال من خذله الله، ولم يردّه بتوفيقه. (٣)

١ - فضائح الباطنية: لأبي حامد الغزالي، ٣٧-٤١.

٢ - الأفحام لأفئدة الباطنية الطغام: يحيى بن حمزة العلوي، ٧٤، تحقيق د. فيصل بدير عون ومراجعة د. علي سامي النشار، الاسكندرية، منشأة المعارف، بدون تاريخ.

٣ - الأفحام لأفئدة الباطنية: الطغام، المرجع السابق، ٧٦-٧٨.

المقام الثالث: هب ناسلمناكم هذه البواطن الموهومة والتأويلات المكذوبة فنأخبرونا عن حكمها في الشرع، هل يجب أخفاؤها عن الخلق، أو يجب أباؤها لهم؟

فيقال لهم: إذا كانت هذه الظواهر كنايات عن اسرار وبواطن، ولم يأن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يصرح بها، ولا بأن يكشفها للخلق كشفاً ظاهراً بل ألزمه النطق بالظواهر، فصار النطق لباطن حراماً باطلاً، ومحجوراً محضاً، ومراغمة لمقصود صاحب الشريعة، فلنا في رسول الله أسوة حسنة وقدوة مستحسنة في أقواله وأفعاله، ففي الأقوال لا نقول إلا ما قلنا ولا نظهر إلا ما أظهره، وفي الأفعال نحافظ على ما كان يحافظ عليه من العبادات والصيام والقيام، وأنواع الطاعات. ونعلم قطعاً أن صاحب الشريعة لم يستغن عنها، ولم يتهاون بها، ولم يركن إلى الرغبة عنها، وينخدع بقول الحمقاء، إن نفوسنا إذا صفت بالعلم الباطن استغنت عن هذه الأعمال الظاهرة، وأنحطت عنها أعباء التكاليف، بل نستعزى بقول هذا القائل، ونقول له: يامغرور اتعتقد أن نفسك كانت صفى، وأزكى من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان يقوم ليلاً حتى تنتفخ قدماء، أو تعتقد أنه كان عالماً ببطان هذه الأمور الظواهر، ولكنه يجعلها ناموساً على الخلق ليستدرجهم بها. فإن اعتقدت الأول فما أحمقك، وإن اعتقدت الثاني، فما اكفرك، بل نقول: بدائة عقولنا تقضى بأن الحشرات مثلاً، في زمرة محمد بن عبد الله، والقناعة بما رضى لنفسه، أحق وأولى من الفوز معك أيها المغرور الأحمق، والجاهل المختل. (١)

المقام الرابع: وإن زعموا (أى الباطنية) أنا عرفنا ذلك بالنظر، فهو باطل لوجهين.

أما أولاً: فالنظر عندكم باطل لا اعتماد عليه، ولا ثقة به لأن قضايا العقول فيه متعارضة.

وأما ثانية: فإذا أعرفت هذه البواطن بالنظر، فمن حقكم أن تذكروا الطريق إليها وتحرروها، حتى تستفيدوا من نظر في طريقها، فأرونا طريقها لتتظر فيها فيحصل لنا العلم مثل ما حصل لكم، لأن هذا هو الأصل فيما كان معلوماً بالنظر ان يكون حاصلًا لكل من نظر في دليله.

وإن قالوا: عرفنا ذلك سماعاً من الإمام المعصوم، فتعلمناها منه فيقال لهم، ومادعاكم إلى تصديق إمامكم، هذا المعصوم، ولا معجزة له، ولم يكن للناظر طريق إلى التصديق بصاحب الشريعة غلا ظهور المعجزة عليه، وعصمة من تدعون عصمته إنما ثبت بأوهام كاذبة وظنون باطلة. (١)

المقام الخامس: هب أنا سلمنا لكم هذا التزوير، والانخداع بهذا التقرير، فما رأيكم فيما تضمنه التنزيل من الآيات المصرحة بالتوحيد، كقوله تعالى: "والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم" البقرة/١٦٣. فهذه الآية ناطقة بالتوحيد ومصرحة به من وجوه ثلاثة:

أولاً: قوله "والهكم إله واحد.

وثانيها: قوله "لا إله إلا هو.

وثالثها: الرحمن الرحيم لأنها من صفات الألوهية، والإله واحد، فهل تقولون بأنها مفيدة لظاهرها فقط، أو لغير ظاهرها فقط، أو بظاهرها ومعنى آخر وغير ظاهرها؟

فإن أفادت ظاهرها فقط، فقط أبطلوا الناطق، وافتضحوا، ورجعوا إلى الحق إن فلقوا.

وإن قالوا بأنها تفيد معنى غير ظاهرها - وهذه هي مقالة خلص الباطنية والمتقدمين منهم - ولا تفيد شيئاً من ظاهرها، وهي مقالة شنيعة ونحلة بديعة، قاتلهم الله أني يؤفكون. (٢)

١ - الأفحام لأفئدة الباطنية الطغام: ٨٢-٨٣، المرجع السابق.

٢ - الأفحام لأفئدة الباطنية الطغام: ٨٣، مرجع سابق.

ويختم العلوى كلامه في الرد على الباطنية بأسلوب عقلاني واضح فيقول
في معرض ذكره لمن يصدق دعاة المنهج الباطني: "أنه لا يكاد يندفع بها - أي
أهواء و آراء الباطنية - غلا الحمقاء المائلون عن اعتدال العقل واستقامة الرأي
لعوارض تعمي عليهم طريق الصواب وتقضي عليهم بالإنخداع بلامع السراب،
مع ماحظوا به من فقد البصيرة وعدم التمييز".^(١)

ابن الجوزي: ت ٥٩٧هـ: يرى في كتابه "تلييس إبليس" إن الإسلام قد هلك بين
طائفتين، بين الباطنية والظاهرية، فأما أهل البواطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع
بما أدعوه من تفاسيرهم التي لا برهان لهم عليها حتى لم يبق في الشرع شيء إلا
وقد وضعوا وراءه معنى حتى أسقطوا إيجاب الواجب والنهي عن المنهي، وأما
أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لا بد من تأويله فحملوا الأسماء
والصفات على ما عقلوه، والحق بين المنزلتين وهو أن نأخذ بالظاهر مالم يصرفنا
عنه دليل ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع.^(٢)

رأى محمد بن الحسن الديلمي: يوجه السؤال إلى منهج الباطنية في
التأويل: أخبرونا بماذا علمتم التأويلات التي تأولتموها أبضرورة أم بدلالة فإنه لا
واسطة بين الأمرين، فإن قالوا ضرورة قلنا باطل لأن الضرورة لا يختلف العقلاء
فيها كالعلم بأن العشرة أكثر من الخمسة وغيره من الضرورات، ومعلوم أن
العقلاء مختلفون في التأويلات التي يدعونها وأكثر الخلق لا يخطر له على بال
فضلاً عن أن يعتقد صحتها وإن قالوا بدلالة قلنا فهل هي عقلية أم سمعية فإن
قالوا عقلية قلنا العقل عندكم ليس بحجة، ولا يكفي في إدراك المعقولات إلا
بواسطة الأنوار الإمامية.

١ - نفسه، ص ٨٧.

٢ - تلييس إبليس: ابن الجوزي، مصر، مكتبة الدعوة الإسلامية، ص ١٥٩، ١٣٦٨هـ.

وما هو الدليل الذي دل على أن كل ظاهر له باطن يخالفه ولا يلائمه بوجه من الوجوه التي يعقلها أهل اللغة العربية أو الشريعة فإن قالوا الطريق إلى ذلك إجماع الأمة، قلنا الإجماع ينقسم إلى أجماع الأمة وإجماع العترة ولادليل عليهما إلا الكتاب والسنة، وقد بينا أن لا يصح الاستدلال بهما على مذهبكم، وبعد فإنه لا يوجد فيهما ما يدل على ما قالوه من التأويلات بل المعلوم باضطرار من الدين أن تأويلاتهم باطلة لاصحة لشيء منها. (١)

فإن قيل كيف قد حتم علينا في هذه التأويلات وهذه الأمة مطابقة بأسرها على تأويل الكتاب والسنة، ولهذا فإن لكل فرقة من فرق الأمة تفسير لكتاب الله عز وجل فالجواب عن ذلك أن الفرق بين الأمرين ظاهر فإن المخالف أثبت تأويلات لاتوافق ظاهر الخطاب وتلائمه بوجه من الوجوه، وهذا لا يذهب إلى تجويزه أحد من الأمة على اختلافهم وأن ما يذهب إليه أهل التحصيل أن خطاب الله عز وجل يجب أن يحمل على فوائده التي تطابق ظاهره لأن الله تعالى يقول "بلسان عربي مبين" الشعراء/١٩٥، فيجب أن يحمل على موافقة لغة العرب من الحقيقة أو المجاز دون ذلك مما لا يفيد عند العرب لأن ذلك يخرجهم عن كونه كلاماً عربياً فإن الأمة لم تقض بأنه أجمع يحتاج إلى تأويل بل منه ما هو ظاهر جلي فلا يحتاج إلى إيضاح وتأويل. (٢)

وإذا كان الإمام أنما يصح الرجوع إليه لمعرفة معنى الباطن متى علمت عصمته من يدعونه أماماً ولأنهم لا يعتمدون على حجج العقول إذا العقول ليست بحجة عندهم لأنه متى كان المراد بكل ظاهر من ذلك معنى باطلاً لا يفيد بحقيقته ولا بمجاز ولا تمكنهم معرفته إلا من جهة الإمام المعصوم، وجب ألا يصح الرجوع في معرفة عصمة الامام إلا إليه ولا يصح الرجوع إليه في ذلك وفي

١ - بيان مذهب الباطنية وبطلانه: محمد الحسن الديلمي: تصحيح: ر. شذو طمان: لاهور

إدارة ترجمان السنة: ص ٥٨-٥٩، بدون تاريخ.

٢ - بيان مذهب الباطنية وبطلانه: الديلمي، ٦١ - ٦٢.

غيره من العلوم إلا بعد العلم بعصمته فيقف واحد من العلمين على صاحبه، وهو الدور المحال كما يقولون. (١)

وإذا سألنا بماذا يعرف الإمام المعنى الباطن حتى يعرفه الناس؟ فإن قيل بظاهر الخطاب فذلك محال عندهم لأن ظاهر الخطاب لا يفيد ولو عرف ذلك بظاهره لعرفه غيره وكان يبطل كونه معنى باطناً وبطل قولهم أن لكل ظاهر باطناً ولزم كون الخطاب الأول عبثاً إذا أمكن فهم المراد من دونه فلاحاجة إلى المخاطبة به وأن قيل يعرف ذلك إلهاماً، وجب كون الخطاب عبثاً إذا أمكن فهم المعنى من دونه ولا حاجة للمخاطبة به.

كذلك فإن المعنى الباطن لا يخلو إما أن يكون مطابقاً للظاهر أو مخالفاً له، فإن كان مطابقاً وجب كون الظاهر مفيداً بحقيقته وتبطل دعوتهم بالاختصاص بمعرفته دون غيره، وإن كان مخالفاً له لزمهم في قوله تعالى "حرمت عليكم امهاتكم" النساء/ ٢٣ أن يكون المراد بها نقيض التحريم وهو التحليل، ومن قال بذلك فقد انسلخ من الدين ولزمهم في النصوص الواردة في أمير المؤمنين على عليه السلام المقتضية بظواهرها لامامته أن يكون باطنها نقيض ذلك، وهو ابطال أمامته عليه السلام وإثبات إمامة غيره نحو معاوية ومن جرى مجراه. (٢)

ويواصل "الدليمي" نقده للمنهج الباطني، أن من أعجب أمرهم أنهم يقولون أن لكل ظاهر باطناً وأن ظاهر الآيات لا يصح الاحتجاج به ولا الاعتماد عليها فإذا أظفروا بآية يتوهمون أن لهم في ظاهرها علة لم يلبثوا أن يحتجوا بها وينسون مذهبهم أن الظاهر لا ينبغي الاعتماد عليه ولا الاحتجاج به.

وإن كانت الآيات التي فيها ذكر العهد والميثاق ليس فيها أن العهد والميثاق إنما يؤخذ على الكتمان، بل فيها أن الله سبحانه أخذ الميثاق على

١ - نفسه، ص ٦٤ - ٦٥.

٢ - نفسه، ص ٦٤ - ٦٥.

رأي ابن رشد: في كتابه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" يرى ابن رشد (٥١٤-٥٩٥هـ) - إذا كان يشترط في الحاكم في الحلال والحرام أن تجتمع له أسباب الاجتهاد وهي، معرفة الاصول ومعرفة الاستنباط من تلك الاصول بالقياس، فكم بالحرى أن يشترط ذلك في الحاكم على الموجودات، أعني أن يعرف الأوائل العقلية ووجه الاستنباط منها.

فالجاحد لأمثال هذه الأشياء، إذا كانت أصلاً من أصول الشرع، كافر، معاند بلسانه دون قلبه، أو بغفلته عن التعرض إلى معرفة دليلها لأنه إن كان من أهل البرهان، فقد جعل له سبيل إلى التصديق بها بالبرهان، وإن كان من أهل الجدل فبالجدل، وإن كان من أهل الموعظة فبالموعظة، ولذلك قال عليه السلام: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي" ^(٢) يريد بأي طريق اتفق لهم من طرق الإيمان الثلاثة.

١ - بيان مذهب الباطنية وبطلانه: الديلمي، ٦٥-٦٦، المرجع السابق.

۲ - رواہ البخاری: کتاب الإیمان، ج ۱، حدیث ۲۵.

وهذا هو السبب في أن انقسم الشرع إلى: ظاهر وباطن، فإن الظاهر هو تلك الأمثال المضروبة لتلك المعاني، والباطن هو تلك المعاني التي لا تتجلى إلا لأهل البرهان.

وإذا اتفق - كما قلنا - أن نعلم الشيء بنفسه، بالطرق الثلاث، لم نحتج أن نضرب له امثالاً، وكان على ظاهره، لا يتطرق إليه تأويل، وهذا النحو من الظاهر إن كان في الأصول فالمتأول له كافر، مثل من يعتقد أنه لاسعادة أخروية ها هنا ولاشقاء، وأنه إنما قصد بهذا القول أن يسلم الناس بعضهم من بعض في إيدانهم وحواسهم، وأنها حيلة، وأنه لا غاية للإنسان إلا وجوده المحسوس فقط. ويواصل ابن رشد حديثه: وإذا تقرر هذا، فقد ظهر لك من قولنا أن ها هنا ظاهراً من الشرع لا يجوز تأويله، فإن كان تأويله في المبادئ فهو كفر، وإن

رأي البغدادي في الفرق بين الفرق: يرى أبو منصور البغدادي (ت ٤٢٩هـ) إن من كان على بدعة الباطنية أو البيانية أو المغيرية، أو الخطابية^(١) الذين يعتقدون بالهية الأئمة أو إلهية بعض الأئمة، أو كان على مذهب الحلول، أو على بعض مذاهب أهل التناسخ، أو على مذهب الذين اباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين أو على مذهب من قال إن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان أو أباح مانص

١ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال: ابن رشد، ٤٤-٤٨، مرجع سابق.

٢ - ينظر في ذلك الشهرستاني، الملل والنحل، مرجع سابق: البيانية ١٥٢ والمغيرية ١٧٦، والخطابية ١٧٩.

القرآن على تحريمه، أو حرم ما أباحه القرآن نصاً لا يحتمل التأويل، فليس هو من أمة الإسلام ولا كرامة له. (١)

وحيثما تحدث عن فرقة الروافض ويقصد بهم الشيعة بين أنهم أربعة أصناف وعدد من هذه الأصناف فرق الغلاة، وذكر أن هؤلاء الغلاة جميعاً خارجون عن فرق الإسلام. (٢)

وكيف يكون من فرق الإسلام قوم يزعمون أن علياً كان إلهاً أو نبياً؟ ولئن جاز إدخال هؤلاء في جملة فرق الإسلام، جاز إدخال الذين أدعوا بنوة مسلمة الكذاب في فرق الإسلام. (٣)

وقد خصص البغدادي فصلاً كاملاً في كتابه "الفرق بين الفرق" في ذكر الباطنية فتحدث عن أرائهم وعقائدهم وبين خروجهم عن جميع فرق الإسلام. (٤)
وبين أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس - كما ذكر في التواريخ - وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم وأنهم لم يجسروا على أظهره هدفاً من سيوف المسلمين فوضع الأغمار فيهم اسماً من قبلها منهم صار إلى تفضيل أديان المجوس وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي عليه السلام على موافقة أسسهم. (٥)

ويذكر البغدادي أن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضاً لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة أو إلى مثل أحكام المجوس. (٦)

١ - الفرق بين الفرق: البغدادي: ١٣-١٤، ٢٣١-٢٣٢، القاهرة، دار التراث.

٢ - نفسه، ص ٢١.

٣ - نفسه، ٢٣٦.

٤ - راجع حتى ذلك، المرجع السابق، ص ٢٨١-٣١٢.

٥ - فرق بين الفرق: ٢٨٤، مرجع سابق.

٦ - نفسه، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

وينتهي البغدادي بعد أن يستعرض كل ما في هذه الرسالة إلى أن غرض
بباطنية يتركز في القول بمذاهب الدهرية واستباحة المحرمات وترك العبادات.^(١)
وفيما يتعلق بموقف الباطنية من السنة: فقد استدلوا على قولهم بالظاهر والباطن
بحديث "مانزلت على من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن"^(٢) وبالرغم من ضعف
الحديث من حيث السند، فقد أورد العلماء تفسيرات لهذا الحديث بخلاف تفسيرات
الباطنية.

فقالوا: إن المراد بالظاهر هو المفهوم العربي وهو ظاهر التلاوة،
والباطن هو الفهم عن الله لمراده، أي مراد الله تعالى من كلامه وخطابه، لأن
الله تعالى قال: "فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً" النساء/ ٧٨ المعنى
لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب، ولم يرد أنهم لا يفهمون نفس الكلام، كيف
وهو منزل بلسانهم؟ ولكن لم يحظوا بفهم مراد الله من الكلام.

وكون الباطن هو المراد من الخطاب فيشترط فيه شرطان: أحدهما: أن
يصح على مقتضى الظاهر والمقرر في لسان العرب، ويجري على المقاصد
العربية. والثاني: أن يكون له شاهد نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد نصحته
من غير معارض. وبهذين الشرطين يتبين بطلان تفسيرات الباطنية.

١ - نفسه: ص ٢٩٤-٢٩٨ وفي كتابه "أصول الدين" يذكر البغدادي، أن الباطنية خارجة
عن فرق الأهواء وداخلية في فرق الكفر الصريح لأنها تتمسك بشئ من أحكام
الإسلام لافي أصوله ولا في فروعه وأن دعائهم خالفوا المسلمين في التوحيد
والنبوات وفي تأويل الآثار والآيات وأنهم كانوا دعاة المجوس بالتصويبه إلى دين
التصويبه.

في تفصيل ذلك: أنظر: "أصول الدين" للبغدادي: بيروت: منشورات الأفاق الجديدة:
تحقيق لجنة إحياء التراث العربي: الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢ - الموافقات: الشاطبي: تحقيق: عبدالله دراز: ص/٣٤٦، ٣٥٧، ٣٥٨.

وقيل: ظاهره تنزيله الذي يجب الإيمان بهن وباطنه وجوب العمل به وما من آية إلا وتوجب الأمرين جميعاً، وقيل: غير ذلك. ^(١) ثالثاً: زعموا أن علم الباطن قد اختص به الأئمة على بن أبي طالب وأبنائه دون غيرهم.

وهذا مانفاه علي رضي الله عنه عندما زعم الشيعة ذلك في وقته، فقد جاء في صحيح البخاري عن طريق أبي صحيفة قال: قلت لعلي: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: ^(٢) (العقل) وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر. ^(٣)

فقولهم باختصاص علي رضي الله عنه وأبنائه بعلم الباطن دون غيرهم كذب واقتراء علي رضي الله عنهن وعلى الأئمة من ذريته، وهو أيضاً مخالف للقرآن الكريم، قال تعالى: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم.. النحل/٤٤ فالبيان للناس وليس للفرد أو طائفة منهم ولو كانوا من أهل بيته.

رد ابن القيم: يقول في "الصواعق المرسلة": إن من أسباب رواج التأويل وقبوله مع أنه مخالف للحق والفطرة، أن يعزوا المتأول تأويله إلى جليل القدر، نبه الذكر من العقلاء، أو من آل البيت النبوي، أو من له في الأمة ثناء جميل ولسان صدق، ليحليه بذلك في قلوب الأغمار والجهال، فإنه من شأن الناس تعظيم كلامه من يعظم قدره في نفوسهم، وأن يتلقوه بالقبول والميل إليه، وكلما كان ذلك القائل أعظم في نفوسهم كان قبولهم لكلامه أتم، حتى أنهم ليقدّمونه على كلام الله ورسوله، ويقولون: هو أعلم بالله ورسوله منا.

١ - شرح السنة: البغوي: تحقيق على معوض وعادل أحمد، ١/٢١٥.

٢ - القتل: أي الدية التي في القتل.

٣ - الحديث. رواه البخاري.

وبهذه الطريقة توصل الرافضة والباطنية والأسماعيلية والنصيرية إلى
تلفيق باطلهم وتأويلاتهم، حتى اضافوها إلى آل البيت، لما علموا أن المسلمين
متفقون على محبتهم وتعظيمهم وموالاتهم وإجلالهم فانتموا إليهم، وأظهروا من
محبتهم وموالاتهم، واللهج بذكرهم وذكر مناقبهم، ما خيل إلى السامع أنهم
أولياؤهم وأولى الناس بهم، ثم نفقوا باطلهم وإفكهم بنسبته إليهم. (١)

١ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة: ابن قيم الجوزية: ٤٤٢/٢: تحقيق
د.علي محمد الدخيل الله: الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤١٨هـ.

خاتمة

تبين لنا أن الغلو قد بدأ في التاريخ الثقافي والسياسي للدولة الإسلامية مع بداية التشيع للإمام على رضى الله عنه، وأنتهى إلى القول بإمامته والاعتقاد بعصمته هو ومن بعده من ذريته، وتدعيم كل ذلك بالحجج والبراهين، وتشتعت فرقة الشيعة وتفرعت عنها طوائف كثيرة.

وقد تسلل الغلو إلى التشيع، وذلك بمحاولة عبد الله بن سبأ، حيث بدأ تاريخ غلاة الشيعة، فابن سبأ هو المؤسس الأول للغو الشيعي، ومن ثم عند كافة الفرق التي نهجت نفس النهج ورأت نفس السبيل.

والإسماعيلية كفرقة ليست كلها غالية، لأنها قد مرت بأطوار متعددة وطرأت عليها أطوار أطوار مختلفة فهي قد بدأت معتدلة تنادى بإمامة إسماعيل وتدعم ذلك بطرق بعيدة عن الغلو، ولكن فلول الغلاة من الخطابية وغيرها تسللوا إليها، وأسرع عبد الله بن ميمون ومن قبله أبوه ميمون بالسير بها نحو الباطنية وتبنيت الإسماعيلية الاتجاه الباطني واستخدمت التأويل المتعسف الجانح في سبيل تحقيق مآربهم المذهبية والسياسية، وتولدت عن الإسماعيلية فرقة القرامطة بغلوها، ثم جاء الفاطميون لينهوا دور الستر ولتظهر الإسماعيلية بمبادئها الشيعية البعيدة عن الغلو إلى حد ما، ثم ينبثق من الفاطميين الدروز بغلوهم في الحاكم بأمر الله ثم يأتي الحسن بن الصباح ويستخدم الإسماعيلية في مشروعه المدمر، فيبيع في الأرض فساداً، ويملا الأرض رعباً وفرساً ويجيء الصليحيون بإباحيتهم وإنحرافهم، وتمتد نزارية الحسن تنفرع عنها طائفة الأغاخانية بغلوها وبعدها عن الإسلام منهجاً وسلوكاً.

فالإسماعيلية إذن بدأت معتدلة ثم احتوت على ضمائر الإنحراف، وبعد ذلك اندفعت في الغلو الباطني ثم عادت إلى الاعتدال النسبي في الدور الفاطمي ثم رجعت بقوة إلى الغلو متمثلة في الدروز والنزارية قديماً وحديثاً.

وقد استغلت عناصر عديدة في تاريخنا السياسي ما وقع على أهل البيت من ظلم، وما قاسوه من محمد واضطهادات في جذب الاتباع إلى غلوها فأخذوا

يتظاهرون بحزنهم وغضبهم على ما حدث، حتى انطلقى على كثير من المذوعين الذين آمنوا بمعتقداتهم حتى لقنوه مبادئ الغلو وأساليب التطرف التأويلى الباطنى.

وفيما يتعلق بمنهجية التأويل التى استخدمها الغلاة فى تعاملهم مع النصوص الإسلامية، تبين لنا أن النقد الرصين والموضوعى والذى يعتمد على العقل، يمكننا من إبراز تهافت هذا المنهج، وإنه يحمل فى سياقه الداخلى من عوامل التناقض ما يفضى إلى هدمه واسقاطه من قواعده.

ولاشك أن الخل فى البنية الفكرية للغلاة، كان جذراً رئيساً من جذور الغلاة، وهذا الخل يودى إلى اختلاف النتائج التى يصل إليها هؤلاء.

وفى إطار النقد الذى وجهته العديد من الشخصيات التراثية والحديثة إلى منهج الغلو فى التأويل الباطنى، وفى إطار قناعاتنا المتواضعة، يمكن أن نعزى النقد إلى جانبين لاغنى لأحدهما عن الآخر.

الجانب الأول: يتعلق بالدور الذى قام به العقل المسلم فى ترسيخ علم أصول الفقه، الذى هو بمثابة المنهج الذى يسير عليه مستتبط الأحكام من أدلتها والذى يؤكد على جانبين مهمين:

١- أصول التشريع.

٢- طرق الاستنباط ومناهجه.

ومعظم الانحرافات التى وقعت فى تاريخ المسلمين، سواء فى العقيدة أم فى الشريعة، كانت نتائج الخل فى أحد هذين الجانبين.

الجانب الثانى: فيتعلق بنقد السياق المنهجى الذى استخدموه وذلك عن طريق النظر العقلى لمنهجهم فى التأويل، ومن أهم جوانب الخل وفق هذا المنهج يمكننا اكتشاف الآتى:

١ - الجهل: وأبرز جوانب الجهل التى يمكن التعرف عليها:

أ - الجهل بالكتاب.

ب - الجهل بالسنة.

- ج - الجهل بمقاصد الشريعة.
 - د - الجهل بمآخذ الأدلة وأدوات استنباط.
 - هـ - الجهل بأقوال العلماء وآثارهم.
 - و - الجهل باللغة العربية وأساليبها.
 - ز - الجهل بالتاريخ وبالسنن الكونية.
 - ح - الجهل بالواقع وظروفه وملابساته.
 - ط - الجهل بمراتب الناس وبمراتب الأعمال.
- ٢- وفيما يتعلق بالخلل فى المنهج: وأبرز جوانب الخلل فى المنهج مايلى:

- أ - المنهج الحرفى فى فهم النصوص.
 - ب - انعدام النظرة الشمولية.
 - ج - التأويل.
 - د - التلقى المباشر من النص.
 - هـ - اتباع المتشابه.
 - و - عدم الجمع بين الأدلة.
 - ز - انعدام الموضوعية.
 - ح - الاتجاه من غير اهلية وعدم الأخذ من المصادر المعتبرة شرعاً.
- وما يهمنا فى نهاية هذه الدراسة التأكيد على رفض الغلو عند الفرق والمذاهب المختلفة، حيث أن هذه المناهج الغالية قد تركت آثارها على عقول العديد من المسلمين المعاصرين فأفرزت صور التطرف والتشدد التى نلمسها جميعاً فى واقعنا المعاصر.
- والإسلام دين العدل والوسطية، فهو ينهى عن كل صور الغلو والتطرف والتشدد، لأنه دين اليسر، وهذه سمته الواضحة وعلامته الفارقة، كما أنه دين التيسير، ولذلك أمر بالتيسير على الناس والرفق بهم واللين فى دعوتهم.
- والإسلام فى نفس الوقت هو دين التسامح، إذ يدعو إلى اللين فى تبليغ دعوته. بل يدعو للتسامح حتى مع الأعداء، وعدم الاعتداء والتمثيل والغدر.

والغلو فى اللغة، تجاوز الحد، وألفاظ، التطرف، التشدد، التتبع،
والعنف،.... مقاربة للفظ الغلو بوجه من الوجوه الآتية:

١- ما أنها مرادفه لها.

٢- أو بينها وبين لفظ الغلو عموم وخصوص.

٣- أو أنها تمثل أوصافاً ومظاهر لغو.

والغلو فى الشرع مجاوزة الحد، بأن يزداد فى مدح الشيء أو ذمه على
ما يستحق، ومع الجانب التاريخى الذى يمثل وضوح الجذور التى تأسست عليها
مناهج الغلاة، نضيف أن للغلو جذوراً نفسية، ولهذه الجذور جانبان:

١- رد الفعل: الفجوة بين قيم الإسلام وواقع المجتمعات الإسلامية، مما أحدث
رد فعل عند بعض أبناء المجتمع مقابلة للفعل.

٢- القابلية للغلو: وذلك لأن من وقعوا فيه، لديهم القابلية لذلك بضعف
وعيمهم بالفهم للإسلام كأسلوب ونمط حضارى.

وحرصاً على تماسك مجتمعاتنا التى تلفظ كل صور التطرف والعنف،
فنحن ندعو إلى السلام مع النفس والسلام مع الآخرين، والحوار ينبغى أن يكون
مبدأ الجميع فى مواجهة كافة مشاكلنا، حتى يتسنى لنا الحفاظ على استقرار
المجتمع المصرى الذى نعتز بالانتماء إليه كصورة حية للتعايش بين الأديان
والسلام بين كافة الطوائف، ضد كافة الدعوات التى تستهدف النيل من استقرارنا
وحاضرنا حتى نخسر المستقبل، فليكن بحثنا هذا دعوة إلى الاعتدال والوسطية
والحوار ورفض الغلو فى كل صورته وأشكاله.

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: المراجع العامة والمتخصصة لغير الغلاة:

- ١- الإسماعيلية تاريخ وعقائد: إحسان إلهى ظهير: إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان - ط ١ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٢- أصول الإسماعيلية: برنارد لويس: ترجمة: خليل أحمد خليل - بيروت - دار الحداثة - ط - ١٩٨٠ م.
- ٣- أصول الدين: البغدادى: تحقيق: لجنة إحياء التراث العربى: ط ١: ١٤٠١-١٩٨١ م.
- ٤- إعلام الموقعين - ابن القيم - القاهرة - المطبعة المنيرية - بدون تاريخ.
- ٥- الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام: يحيى بن حمزة العلوى: تحقيق: د. فيصل بدير عون: مراجعة د. على سامى النشار: الإسكندرية: منشأة المعارف: بدون تاريخ.
- ٦- الإكليل فى المتشابه والتأويل: ابن تيمية: ط: أنصار السنة المحمدية: القاهرة: ١٩٤٧ م.
- ٧- الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل: د. محمد السيد الجلند: القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية: ١٩٧٣ م.
- ٨- الإمامة والسياسة: ابن قتيبية - القاهرة - نشر مصطفى الحلبى - ١٩٦٩ م.
- ٩- الإنسان الكامل فى الإسلام: د. عبد الرحمن بدوى: الكويت: وكالة المطبوعات: ١٩٧٦ م.
- ١٠- البدء والتاريخ: المقدسى: مخطوط: نشره: كلان هوار: ط: ١٨١٦ م. بون تاريخ.
- ١١- بيان مذهب الباطنية وبطلانه: محمد الحسن الديلمى: تصحيح:

- شروطمان: لاهور: إدارة ترجمان السنة: بدون تاريخ.
- ١٢- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والتقى والإجتماعى: د.حسن إبراهيم حسن: بيروت: دار إحياء التراث العربى: بدون تاريخ.
- ١٣- تاريخ الإمامية: د.عبد الله فياض - بيروت - منشورات دار الأعلمى للمطبوعات: ١٩٧٥م.
- ١٤- تاريخ الطبرى: ط دار المعارف: بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: سلسلة ذخائر العرب.
- ١٥- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولى الأموية: يوليوس فلهوزن: ترجمة: د.عبد الهادى أبو ريده: لجنة التأليف والنشر ط٢: ١٩٦٨م.
- ١٦- تاريخ الفلسفة الإسلامية: د.ماجد فخرى: ترجمة د.كمال اليازجى: بيروت: الدار المتحدة: ١٩٧٩م.
- ١٧- تاريخ الفلسفة فى الإسلام: دى بور: ترجمة: د.محمد عبد الهادى أبو يدة - القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر: ط٤: ١٩٧٥م.
- ١٨- تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم - بيروت - دار القلم. بدون تاريخ.
- ١٩- تأويل مختلف الحديث - ابن قتيبية - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٩٦٦.
- ٢٠- التبصير فى الدين: الإسفرايينى: القاهرة - مكتبة نشر الثقافة الإسلامية: ١٩٤٠م.
- ٢١- التفكير الفلسفى فى الإسلام: د.عبد الحليم محمود - الدار المصرية - ١٩٧٧م.
- ٢٢- تفسير القرآن ابن عربى - بيروت - المكتبة العصرية - ١٩٧٣م.
- ٢٣- تفسير الكشف - الزمخشري - ط: مصطفى البابى الحلبي - مصر - ١٩٧٢م.
- ٢٤- تفسير المنار للشيخ محمد عبده: السيد محمد رشيد رضا: ط الهيئة

المصرية العامة لكتاب - القاهرة - ١٩٧٢م.

٢٥- التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي - القاهرة - بدون ناشر -
بدون تاريخ.

٢٦- تلبيس إبليس: ابن الجوزي: مصر: مكتبة الدعوة الإسلامية: ١٣٦٨هـ.

٢٧- تهذيب اللغة: الأزهري: تحقيق: إبراهيم الإبياري: ط الدار المصرية
للتأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٦م.

٢٨- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: القاهرة: دار الشعب: ١٩٧٠م.

٢٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري: تحقيق أحمد محمود
شاكر: ط دار الشعب: القاهرة.

٣٠- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب: عمان
- مكتبة الأقصى. ط ٢: ١٩٨٦م.

٣١- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: آدم متز: ترجمة
د. محمد عبد الهادي أبو ريدة: القاهرة: مكتبة الخانجي - ١٩٦٧م.

٣٢- الخطط: المقرئزي - تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل - ط دار الفكر
- بيروت.

٣٣- دولة الإسماعيلية في إيران: د. محمد السعيد جمال الدين: القاهرة:
مؤسسة سجل العرب: ١٩٧٥م.

- ٣٤- دائرة المعارف الإسلامية: ط: كتاب الشعب: القاهرة.
- ٣٥- شرح نهج البلاغة: ابن ابى الحديد: القاهرة: دار الكتب العربية: بدون.
- ٣٦- ضحى الإسلام: أحمد أمين: القاهرة: النهضة المصرية - ط٩: ١٩٧٨م.
- ٣٧- طائفة الإسماعيلية: محمد كامل حسين: القاهرة: مكتبة النهضة المصرية: ١٩٥٨م.
- ٣٨- عبقرية الإمام: العقاد: دار المعارف: سلسلة أقرأ: ١٩٧١: القاهرة.
- ٣٩- العقيدة والشريعة فى الإسلام: جولدزيهر - ترجمة مجموعة - القاهرة - دار الكتب الحديثة - ١٩٥٩م.
- ٤٠- على وبنوه: طه حسين: القاهرة: دار المعارف: ط. ١٩٧٨م.
- ٤١- الفتوحات المكية: محيى الدين ابن عربى: ط بولاق: ١٨٨٦م.
- ٤٢- فجر الإسلام: أحمد أمين: القاهرة: مكتبة النهضة المصرية: ط١٢: ١٩٧٨م.
- ٤٣- الفرق بين الفرق: البغدادي: تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد: القاهرة: ط صبيح.
- ٤٤- فرق الشيعة: النوبختى: تحقيق: هـ. ريثر: نشر جمعية المستشرقين الألمانية - استنبول - ١٩٣١م.
- ٤٥- الفصل فى الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسى: ط الخانجى: القاهرة: بون تاريخ.
- ٤٦- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال: ابن رشد: تحقيق د. محمد عمارة: القاهرة: دار المعارف: ط٢: بون تاريخ.
- ٤٧- فصوص الحكم: ابن عربى: تحقيق. أبو العلا عفيفى - بيروت - دار الكاتب العربى - ١٩٤٦م.
- ٤٨- الفصول المهمة فى أصول الأئمة: محمد بن الحسن الحر العاملى: إيران: قم: مكتبة بصيرتى: ط٣.
- ٤٩- فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالى: تحقيق د. عبد الرحمن بدوى -

الكويت - مؤسسة درا الكتب الثقافية.

٥٠- القرامطة: عارف تامر: بيروت: دار الكاتب العربى - بدون تاريخ.

٥١- كشف أسرار الباطنية: محمد بن مالك الحمادى: مصر - دار الأنوار - ١٩٣٩م.

٥٢- لسان العرب: ابن منظور: ط المطبعة الأميرية - مصر - ١٣٠٢ هـ.

٥٣- مباحث فى علوم القرآن - مناع القطان - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط ٢٤ - ١٩٩٢م.

٥٤- مذاهب الإسلاميين: د. عبد الرحمن بدوى: بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٣م.

٥٥- مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية: د. محمد محمود عبد الحميد ابو قحف: رسالة دكتوراة غير منشورة: جامعة القاهرة: كلية دار للعلوم: ١٩٨٣م.

٥٦- المعجم الفلسفى: جميل صليبا: بيروت: دار الكتاب اللبنانى: ١٩٧١م.

٥٧- المعجم الفلسفى: مجمع اللغة العربية: القاهرة: بدون تاريخ.

٥٨- مفردات غريب القرآن: الراغب الأصفهاني: ط. الحلبي - ١٩٦١م.

٥٩- مقالات الإسلاميين وإختلافات المصلين: الأشعرى: تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد: القاهرة: النهضة المصرية: ط ٢: ١٩٦٩م.

٦٠- مقاييس اللغة: ابن فارس: تحقيق: عبد السلام هارون: القاهرة: ١٣٦٦م.

٦١- المقدمة: ابن خلدون: بيروت: دار الكتب العلمية: ط ٤: ١٩٧٤م.

٦٢- مقدمة فى أصول التفسير: ابن تيمية: دمشق: دار الترقى: ١٩٣٦م.

٦٣- الملل والنحل: الشهرستاني: بيروت: دار الفكر: تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل: بدون تاريخ.

٦٤- المهدية فى الإسلام منذ أقدم العصور وحتى اليوم: سعد محمد حسن:

القاهرة: دار الكتاب العربى: ١٩٥٣م.

٦٥- نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام: د. على سامى النشار: الإسكندرية:

منشأة المعارف: ط ٢: ١٩٦٢م.

٦٦- النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ط الحلبي: تحقيق محمود

الطناجي وطاهر الزاوي: ١٩٦٣م.

٦٧- هيرقليطس: فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي: د. علي سامي

النشار: بالإشتراك مع د. محمد علي أبو ريان ود. عبده الراجحي: القاهرة:

دار المعارف: ١٩٦٩م.

ثانياً: مصادر ومراجع الإسماعيلية:

١- اختلاف أصول المذاهب: القاضي النعماني: تحقيق د. مصطفى غالب:

بيروت: دار الأندلس: ط ٣: ١٩٨٣م.

٢- أساس التأويل: النعمان بن حيون: بيروت: دار الثقافة: تحقيق عارف

تامر: بدون تاريخ.

٣- تاج العقائد ومعدن الفوائد: علي بن محمد بن الوليد: تحقيق: عارف

تامر: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر: بيروت: ط ٢: ١٤٠٣ هـ.

٤- تأويل الدعائم: القاضي النعماني: تحقيق: محمد حسن الأعظمي: دار

المنتظر: بيروت: ط ٢: ١٣٩٦ هـ.

٥- حياة الأحرار: علي بن سليمان الهندي: مخطوط: بدون بيانات.

٦- صحيفة الصلاة: سيد نصر الله بن هبة الله بن فتح الله: حيدر آباد:

الهند: ١٣٩٠ هـ.

٧- الكشف: جعفر بن منصور اليمن: تحقيق د. مصطفى غالب: دار

الأندلس: بيروت: ط ١: ١٤٠٤ هـ.

٨- كنز الولد: إبراهيم الحامدي: تحقيق: مصطفى غالب: دار الأندلس:

بيروت: ١٩٩٧م.

٩- مزاج التسنيم: إسماعيل بن هبة الله إبراهيم: تحقيق: شتروتمان:

المجمع العلمي: جوتنبرج: ألمانيا الغربية: بدون تاريخ.

١٠- الينابيع: أبو يعقوب السجستاني: تحقيق: د. مصطفى غالب: بيروت:

المكتب التجارى: ط ١: ١٩٦٥م.

١١- أربع رسائل إسماعيلية: تحقيق: عارف تامر: بيروت: دار مكتبة الحياة: ١٩٧٨م.

ثالثاً: المخطوطات الإسماعيلية:

١- إسعاف الطالب فى جمع المطالب: على سليمان: ١٣٩٦ هـ: مخطوط: بدون.

٢- مفاتيح البراهين: على بن سليمان: الهندى: مخطوط: بدون بيانات.

رابعاً: المصادر والمراجع النصيرية:

١- الباكورة السليمانية فى كشف اسرار الديانة النصيرية: نسخة مسجلة بدار الكتب المصرية: لاهوت: ١١٧، ١٦٩، ٥٠١.

٢- كتاب الأصيفر: أبو عبد الله بن شعبة الحرانى: مخطوط: فى المكتبة الأهلية بباريس: رقم ١٤٥٠ عربى ورقة ٥ب.

٣- مناظرة الشيخ يوسف الحلبي: مخطوط فى المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٤٥٠ عربى ورقة ١٩٤.

خامساً: المصادر والمراجع الإثنى عشرية:

١- أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين الكاشف الغطاء: لبنان: صيدا: مطبعة العرفان: ١٩٣١م.

٢- أصول الكافى: محمد يعقوب الكلىنى: تصحيح وتعليق: على أكبر الغفارى: طهران: دار الكتب الإسلامية: ط ٣: ١٣٨٨ هـ.

٣- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسى: بيروت: مكتبة إحياء التراث العربى: ط ٣: ١٤٠٣ هـ.

٤- البرهان فى تفسير القرآن: هاشم سليمان البرحانى الكتكانى: ط ٢: طهران.

٥- تفسير الصافى: للفيض الكاشانى: تصحيح حسين الأعلمى: مؤسسة

الأعلمى: بيروت.

٦- تفسير العياشى: تصحيح وتعليق: هاشم الرسولى المحلاتى: المكتبة العلمية: طهران: بدون.

٧- تفسير القمى: تصحيح وتعليق: طيب الموسوى: بيروت: ١٣٨٧هـ.

٨- الشيعة فى التاريخ: محمد حسين زين العاملى: بيروت: دار الآثار للطباعة والنشر. ١٩٧٩م.

٩- اللوامع النورانية فى أسماء على وأهل بيته القرآنية: هاشم الحسينى البحرانى: إيران: قم: المطبعة العلمية: ١٣٩٤هـ.

١٠- مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار: أبو الحسن الشريف بن المولى محمد طاهر البناتى الفتونى: طهران: مطبعة الإقتاب: ١٣٧٤هـ.

١١- معرفة الله والمكزون السنجارى: د.أسعد أحمد على: بيروت: دار الرائد العربى: ١٩٧٢م.

الفهرس

المقدمة	١
الفصل الأول : مفهوم التأويل وتاريخه	٢-٢٠
الفصل الثاني : مفهوم الغلو	٢١-٢٨
الفصل الثالث : الاتجاه الباطنى والارتكاز على التأويل	٢٩-٣٥
الفصل الرابع : الإسماعيلية والتأويل	٣٦-٥٥
الفصل الخامس: الشيعة الأثنى عشرية والتأويل	٥٦-٦٦
الفصل السادس: النصيرية والتأويل	٦٧-٧٣
الفصل السابع : الرد على التأويل الباطنى	٧٤-٩٢
الخاتمة :	٩٣-٩٦
قائمة المصادر والمراجع	٩٧-١٠٤

